

أجاثا كريستي

الجريمة تدق الباب

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الجريمة تدق الباب

الفصل الاول

أداروا مقعدها الوثير لكي يواجه نافذة مخدعها العريضة المطلة على الخليج ، والتي تكاد تشغل من الجدار رقعته كلها .

وقد أطعموها ، وأدخلوها الحمام ، وغسلوا لها جسمها ، ومشطوا لها شعرها .

انها الان في الفترة التي يمكن ان توصف بأنها فترة الاغفاء والاستجمام مدة نصف ساعة .

لقد قالو لها انها ظهيرة جميلة ذات جو منعش ، وان من حسن حظها أن في مخدعها مثل هذه النافذة الرائعة ، المشرفة على الخليج ، بمشاهده الخلابة .

ثم تركوها وانصرفوا

كان ذلك اليوم هو يوم سبت ، وكانت تعرف انه يوم سبت لأن أطفال المدرسة كانوا منهمكين في اللعب في الحديقة الواقعة عبر الطريق ، وكان بائع

الزهور قد جلب الى حانوته الورود التي يقبل عليها النـــاس عادة في عطلة نهاية الأسبوع .

ولقد اشترت البيت بسبب هذه الحديقة العامة الصغيرة هذه الحديقة التي تلائم الأطفال . أما الحدائق المجاورة الخاصة بالبيوت الكبيرة المشيدة ، فتصلح لحفلات الرقص ليلا ولمباريات التنس نهاراً .

نعم .. كان ذلك يوم سبت ، فها هو زوجها رالف قد رجع من عمله في البنك ، وهو قد ساهم في اعداد غدائها ، وقد أعد بنفسه حساءها . وليس هذا فقط بل انه نعتها بأنها « طفلته الصغيرة » .

ولم يوجه اليها نفسها ، هذه الكلمات .. وانما كان يتحدث الى الممرضة .

لقد قال لها في نبرة تنبض أسى ومرارة :

— مس سيلز . انها كل ما تبقى لي اليوم .. انها طفلتي الصغيرة . نعم ، انها كل ما بقي لي .

وبدا على مس سيلز كأنما تريد ان تبكي .

وامتدت يدها الى الأمام قليلا في حركة متوترة كأنما تهم بأن تلمس شعره الأشيب الجميل .

وقالت له :

— لا ينبغي يا سيد مانسون ان تبدو حزيناً بائساً ، ومهما كنت تعساً مكروباً فإن عليك ان تبدو فرحاً اكراماً لخاطرها .. انها شديدة الحساسية والانفعال وتشعر بما يدور حولها .

وهي ايضاً تستطيع ان تسمع ما يجري حولها ، لكنهم في بعض الاحيان ينسون هذا فعندما يوجهون اليها الحديث يرفعون أصواتهم ويقرنون الكلمات ببعض الاشارات كأنها صماء لا تسمع .

ولكن عندما يتبادلون الحديث فيما بينهم ، فإنما يتكلمون كأنها

غير موجودة ، وكأنما هي لا تسمع الا اذا أدنوا وجوههم منها ، ولوحوا بأيديهم في وجهها .

ولم يكن في هذا ما يضايقها ، فقد كانت تريد منهم ان يتبادلوا الحديث فيما بينهم بأصوات عالية ، وأن يظلوا مقتنعين أن بها صمماً . وهم كلما أقبلوا على الحديث كان هذا خيراً لها

فإذا ما غادروا الغرفة كانت تريد أن تعرف أين هم ذاهبون .. كانت تريد أن تعرف أين كانو في كل ساعة من ساعات النهار ، بل في كل ساعة من ساعات الليل خاصة ..

بل انه الليل هو الذي يعنيها ويثير اهتمامها . نعم الليل .

لقد غادروا الغرفة وانصرفوا ، وسمعت وقع أقدامهم ، تهبط إلى البهو .

وتطلع رالف ناحية غرفة الضيوف .. إنها الغرفة التي اتخذها مخدعاً ينام فيه . لقد سمعت الطبيب يقول له انه ينبغي ان ينام في هذه الغرفة حتى يكون في متناول النداء ليسمعه في سهولة .

ولكن نداء من ؟..

إنه لا يمكن ان يكون نداءها على أية حال ، لأنها لا تستطيع ان تفتح فمها ولكن لا إنها تستطيع ان تفتح فمها ، وتستطيع ان تحرك شفتيها ولكنها لا تملك ان تنطق ولا تملك ان تصدر صوتاً ، إذن فما قصده الطبيب هو النداء على الممرضة مسز سيلز .

كانت الممرضة تنام في سرير صغير وضع بجانب الفراش الكبير ، وإذا حدث ان احتاجت اليه مسز سيلز أثناء الليل ونادت عليه ، فإنه يستطيع ان يلبي نداءها ويكون بجوارها خلال دقيقة واحدة . وهو يستطيع أن يسارع اليها عبر البهو ، أو عن طريق الشرفة الكبيرة ، التي تحيط بالبيت .

إنه من المحتمل انهما يتحدثان عني الآن في البهو ويقولان انه من المحتمل أنني قد أموت فجأة خلال الليل . كان هذا هو ما يدور بذهنها . ترى هل أستطيع ان أبتسم .

الواقع اني لا أدري ، فإنهم لم يأتوني بمرآة قط ، ولم يضعوا مقعدي أبداً في مواجهة المرآة ، ولكن إذا كنت عاجزة عن ان أبتسم ، فإن هذا هو ما أفعله الآن في داخلي ..

نعم . إنني الآن أبتسم في قلبي .

وتناهت إلى سمعها خطى مس سيلز وهي تتجاوز الغرفة الوردية إلى رأس السلم ، ثم وهي تهبط الدرج ، إلى ان تلاشت في السجاد السميك الذي يكسو أرضية الردهة السفلى .

إنها خارجة تتمشى لتقوم برياضتها اليومية المألوفة .

وبعد لحظات سأسمع صرير الباب الخارجي وهي تغلقه وراءها ، ثم أراها وهي تلوح لي بيدها تحييني حين تعبر الحديقة . وبعدئذ سأراها عبر الطريق في الحديقة العامة الصغيرة ، تسير بخطى واسعة مسترخية ، وهي تلوح بذراعيها في حركة لطيفة رشيقة .

وبعد ذلك تأتي ايما لتجالسني وتسامرني .. سوف تتحــدث ايما إلي .. ستتحدث بصوتها الحاد المسرسع . تتحدث وتبتسم وتثرثر ، طوال ساعات متصلة ولكني معتادة على إيما ، فقـد عاشت في خدمتي سنوات طويلة حتى أصبحت وكأنها فرد من الأسرة .

ستحدثني ايما عن أسعار الأشياء التي تشتريها ، متظاهرة بأنني ما زلت ربة الدار أدير شؤون البيت . القصاب والفـــاكهي والمزارع الذي يأتينا باللبن ، إنهم جميعاً لصوص لا ذمـــة لهم ، ولكن ما عسى يملك المرء أن يصنع ؟

وتقول إيما :

- يا إلهي !. إنك تبدين اليوم أحسن صحة .. ها هو التورد قد سرى الى وجنتيك .

التورد ؟. إنها لا تدري ان مس سيلز أصرت على ان تجمل وجهها بماكياج خفيف ، وان تجمل أظافرها وتقص لها شعرها . لقد قالت ان هذا التجميل يرفع الروح المعنوية .

وكان عادة ايما ان تجلس في المقعد الواطىء ، انيقة في بزتها الرسميــة المنسجمة على قوامها ، ثم تأخذ تتحدث عن الشاي وعن العشاء ، كما كان من عادتي ان استمع إلى ثرثرتها . وها هي ذي الآن تثرثر .

وكان من عادتها أيضاً أن تشتغل بالتريكو ولكنهم أمروها ان تكف عن هذا العمل وذلك بسبب الإبر . إن إبر التريكو هي الشيء المناسب جداً .. مناسب حجماً وطولاً ، فقط لو ان يدك استطاعت أن تمتـد الى الابر وتمسك بها .

نعم . انك تكون مجدداً سعيد الحظ لو ان يدك أمسكت بابر التريكو لكي تتخذها أداة للانتحار .

إن أيدي ايما عجوز معروقة ، وخشنة تكاد عظامها ان تبرز ، وذلك لأن يديها هي أدوات عملها . لكن يد ايما قوية صلبة ، إن يدها لا تحتاج إلى جهد تبذله كي تقبض على ابر التريكو ..

إنها بمنتهى السهولة واليسر تحرك الإبر في اتساق، وتدور بها صاعدة هابطة دون أي جهد .

ولا شك ان ايما فطنت اليها وهي مركزة بصرها تراقب يديها .. نعم لا ريب انها لاحظت نظرتها لأنها قالت لها :

- لا !. لا ، يا مس نورا . لا ينبغي ان تفكري في شيء رهيب كهذا !.

ولكن ايما لا يمكن ان تكون قد استشفت ما يدور في رأسها بل لا أحد

يستطيع ان يفطن إلى ما تفكر فيه ، لا أحد .. الا ! الا !. ولكن لا .. هذا غير محتمل !

ولكن ألا يجوز ان يكون محتملا ؟

وراحت تتساءل عن الحقيقة ، واستبد بها القلق ، ودفعها القلق إلى ما يشبه الجنون ، إلى ان سمعتهما يتحدثان حين ظنتا ، انها استغرقت في النوم .

قالت مس سيلز :

– كانت اليوم تشتهي ان تأخذ إبر التريكو من ايما . لقد استشفت في عينيها النظرة المتلهفة إني غير راضية عن هذا يا مستر ماسون . نعم.. انني لا أحب هذا على الاطلاق .. إنها لا تستطيع ان تقبض على الابر حتى لو وضعناها في يدها، انها لا تستطيع ان تمسك منديلا ، ليس بعد ، ليس في الوقت الحاضر ، ومع ذلك فأنا لا أحب هذا .

ففي أمثال هذه الحالات يحدث أحياناً تغير مفاجيء .. تغيير مؤقت ، لا يستمر طويلا ..

شيء يشبه تقلص العضلات ، وإذا ما حدث هذا التغيير المؤقت ، فإنها تستطيع ان تنزل بنفسها أذى شديداً اذا ما استطاعت ان تمسك بشيء كهذا .. شيء له سن مدببة .

ولهذا طلبت من ايما ان تكف عن شغل التريكو ، وان تسلي نفسها بشيء آخر لا خطر من ورائه ، كتسلية لصق الورق المزخرف ، إنك لا تقدر أن تؤذي نفسك بشريط من الورق المصمغ

ورد عليها رالف بقوله :

– تؤذي نفسها !. انه يكون أمراً رهيباً ! ولكني اظنك على صواب ، فقد لاحظت انها كانت تركز بصرها على قلمك وأنت تكتبين قائمة الأدوية .. نعم ، كانت تريد القلم ، كانت متلهفة الى الحصول عليه ، ولكن ما عساها

تفعل بقلم الكتابة ؟

ـ لا أدري ، إنما لا نقدر ان ننفذ الى بواطن عقلها المضطرب ، ولكن ينبغي يا مستر ماسون ان تكون على حذر دائماً ، وان تتوجس خطراً في كل شيء . يجب ان نهيء أنفسنا لتغيير جنائي مفاجيء ، انها تستطيع مثلاً أن تؤذي عينيها ، تستطيع ان تدفع القلم في حدقتيها . وفي الحالة التي تكابدها الآن يمكن ان يخطر لها انها مخلوق عديم النفع ، إنها عبء ثقيل عليك .. وفي انفعال عاطفي جارف قد تفكر الآن ان تعاقب نفسها . ثم ما يدرينا انها تتمنى الآن ان تفقد بصرها وأن لا ترى أبداً

والفى بيده الدافئة على يدها الباردة المرتعدة .

ثم قال :

ـ أتوسل اليك يا مس سيلز أن ترعيها باهتمام ، أرجوك ألا ترفعي عنها بصرك . أحرسيها جيداً حتى لا تؤذي نفسهـــا ، إنها كل ما تبقى لي من دنياي . ألم تلاحظي كيف تتحرك عيناها الجميلتان وتتابعان كل ما يجري أمامها ؟

إن عينيها هما الشيء الوحيد فيها الذي بقي حياً .

وكان هذا هو السبب في ان ايا كفت عن شغل التريكو ، واستعاضت عنه بورق اللاصق تعمل منه أشكالاً زخرفية .

وكان هذا أيضاً هو السبب في ان مس سيلز لم تعد تعلق في زي الممرضات الذي ترتديه قلم رصاص او قلم حبر .

إذن فهذا هو ما يفكرون فيه ! ان تؤذي نفسها عن عمد ! إنها لمحدودة الحظ بأن فكروا في هذا .

لقد أخطأوا فيما يستنتجون ، ومن حسن حظهـــا انهم أخطأوا .. بهذا أخذت تحدث نفسها ، إن عليها ان تفكر في شيء آخر بدلاً من القلم .. شيء يمكن ان تضمه بين أصابعها ثم تديره وتحركه ، لكي يمنح أصابعها القوة دون

يفطن أحد الى الأمر .

في المستشفيات العسكرية يعطون الجندي شيئاً يحركه ويطبق عليه أصابعه ويحاول ان يديره بينها ، وذلك كي يزول تدريجياً توتر الأصابع .

نعم .. إنهم في المستشفيات يساعدون مرضاهم ، ويسعون إلى شفائهم جاهدين مخلصين .. ولذلك ، لم يبعثوا بها إلى المستشفى ، وأبقوها في البيت .

لقد سمعتهم يقولون :

— إنها ستكون أكثر راحة ، في بيتها ، ومع عشيرتها وأهلها ، الذين يحبونها .

إيذاء شخصي متعمد ! إذن فقد سمعت هذا أيضاً ، إذن فمن حسن حظك للمرة الثانية انك كنت عاجزة عن ان تضحكي ..

نعم ، إنك سعيدة الحظ لأنك لم تجفلي ، وإلا لكشفت نفسك وازحت النقاب عن سرك .

أهذا إذن ما يفكرون فيه ؟ إيذاء شخصي ! تؤذين نفسك وأنت الحريصة أشد الحرص على أن تحافظي على حياتك ، لا أن تعملي على فقدها . إن كل ما تبغيه هو ان تستبقي حياتك ، كما هي ، إلى ان يا إلهي ! لم أبكي ؟. هذه هي الدموع تنساب على يدي . اني لم أكن أدري ان في استطاعتي أن أبكي ! فلأدع هذا ولأفكر في شيء آخر ..

إن برومي سيأتي على عادته في قطار الساعة الرابعة ، وسيكرر نفس الشيء الذي يقوم به كل مرة ، سينحني فوقي ويتأمل وجهي ، ويقبل يدي ، ثم يقول ان صحتي في تحسن مضطرد .

ثم يكايدني ويعاكسني ، وكل هذا منه مجرد تظاهر ورياء !. ألا تكف عن هذا ؟. أرجوك ، كف عن هذا !

وتطلعت الى السجادة التي يغطون بها ساقيها درءاً للبرد ، إنها سجادة

عتيقة مضت عليها عشرات السنين ، ونظرت الى أهدابها (الشراريب) ، كان الهداب قديماً جداً ، وقد بلغ من قدمه ان تصلب وجدت خيوطه حتى أصبح في تصلبه شبيهاً بالقلم ، إذن فلتحاول ، فلتجرب ، ان كانت حقاً صلبة النسيج !.

ولتسرع ، وهي الآن وحدها ، قبل ان تأتي ايما ، بل قبل ان يأتي أي شخص ، قبل أن يأتوا جميعاً بعد ان يفرغوا من نزعتهم ، نعم ، هذا هو الوقت المناسب ، ولكن ليس اليوم على أية حال ، سيكون ذلك في يوم آخر ، وان الأيام كثيرة !

نعم ، لا بد ان تحاول ! ها هي ترى الشراريب بجانب معصمها الأيسر ، فهل تستطيع يا ترى ان تحرك هذا المعصم ؟ هل تستطيع ان تلمسه بيدها الأخرى ؟ انظري ان كان في وسعك ان تحركي رسغك ، ذراعك ، نعم ذراعك ، هيا ! حاولي ، حاولي ! كلا ، لا بأس ، لا داعي للبكاء ، ان البكاء يؤذيك وينهك قواك ، فتعجزين عن محاولة أخرى ، إستمري على المحاولة ، نعم ، محاولة بعد محاولة ، ودون توقف ، حتى توفقي ، واحمدي الله على ان عقلك لا يزال سليماً !

انهم غير متأكدين من سلامة عقلك ، وهذا ما يجعلك متقدمة عنهم في هذا السباق ، هذا هو الذي سيجعلك تربحين في النهاية !

في يوم من الأيام سوف تتحرك يدك ، سوف تصل الى هداب السجادة ، وسوف تنطبق عليها ، ذات يوم سوف تمسكين بالهداب في يدك ، وسوف تفردين أصابعك وتطبقينها على الهداب ، وليس هذا فقط ، بل سوف تديرين الهداب بين أصابعك ، مرة بعد مرة ، حتى تقوى أصابعك ، وتدب الحياة في أعصابها !

وبعد هذا يمكنك ان تمسكي قلماً ، نعم ان من المحتمل ألا ترى قلماً آخر بعد اليوم ، ولكن أصابعك على أية حال ستكون متهيئة وعلى استعداد

لمواجهة ما سيحدث ، ليس مهماً ان تبقى مقعدة لا تقوين على النطق ، ان كل ما أنت في حاجة اليه إصبعان ، اصبعان اثنان ؟ اصبعـان ؟ كلا ، بل اصبع واحدة ليس الا ، ان اصبعاً واحدة تكفي ، لأن هذه الإصبع تستطيع ان تشير !

باصبع واحدة تستطيعين أن تتظاهري بأنك تكتبين ، كما يفعل الممثلون في مسرحيات التمثيل الصامت (البانتوميم) ، انك تستطيعين أن تجعلي كلماتك واضحة مقروءة ، ولا لبس فيها .. وذلك في حضور الشخص المناسب !

ولكن أنى لي أن أعرف ان الشخص المناسب سيكون حاضراً ؟ اني لست واثقة من الأمر ، كيف أعرف ان أي الأشخاص هو من أريد ، أوه ، كفى بكاء ؟ كفى ! انه يبدد ما لديك من قوة باقية ، حسبـك ولا تكوني طفلة ! طفلة ؟ آه ! لقد سمعته يقول : « طفلتي الصغيرة » !

آه ! ها هي ذي ايما قد حضرت !

وها هي ميلي سيلز تعبر الحديقة العامة ، مهرولة في اتجاه محطة لارشفيل كان قطار الرابعة مقبلا على المحطة في هذه اللحظة قادماً من نيويورك ، وكان الرصيف مكتظاً بالأمرات وكلابها !

كان الوقت الباقي أمامها لا يكفي الا لتصلح من وضع قبعتها قبل أن يهبط جورج بيري ومستر بروسي كوري من القطار ، ليشقـا طريقهما في وسط الزحام !

كان ميلي وجورج يعيشان مع أهلهما في البيت المجاور لمنزل مستر مانسون وكانت تربط بينهما صداقة قديمة العهد !

أما نظرتها الى مستر كوري فكانت تنطوي على شيء من النفور ، غير انها كانت لا تملك الا ان تعترف بأنه كهل ظريف ، ولكن أهو كهـل حقاً ؟ انه على أية حال في الخمسين من العمر .

لقد أخبرتها ايما أن مستر كوري الثاني كان هو الزوج الأول لمسز مانسون وكان يكبرها بعشر سنوات .

أما هي فكانت في الثانية والأربعين ، وكان مستر بروس كوري هو الأخ التوأم لمستر كوري الآخر .

وقالت ميلي في نفسها حين رأت الرجلين معاً :

– يبدو انه لن تتاح لي أبـــداً ، فرصة أنفرد فيها بجورج ، ولو عشر دقائق .

ولوحت لهما بيدها تحييهما ، ولوحا لها من فوق رؤوس المسافرين ، وكان الذي يدور في ذهنهـــا ، في هذه اللحظة ، هو كيف تمضي السهرة ، هذا المساء .

ربما ذهبت الى السينما ، وربما ذهبت الى أحد المراقص ، أو ربما ذهبت الى الاثنين معاً .

وقالت في نفسها أخيراً :

– سأتلاعب به ، ولا يهمني أن يكون متجهماً ضيق الصدر .

وعلى الرغم منها لاحظت ان بروس كوري لم يكن متجهماً ضيق الصدر ، وكان الى هذا متناسق الجسم رشيق الخطى .

ودفعت بذراعها في ذراع جورج ، وقرصته قرصة خفية تداعبه ، لكن يبدو ان جورج لم يشعر بقرصتها .

وفي الوقت ذاته ابتسمت تحيي مستر كوري ، ورد كوري تحيتها بابتسامة عذبة جذابة .

وتساءل جورج وهما يغادران فناء المحطة :

– عربة أم تفضلون المشي ؟

وأجابت مسز سيلز :

– بل نمشي طبعاً ، فتلك هي رياضتي اليومية .

وتساءل كوري في شيء من الاهتمام :

ـ أليس هناك ما تتسلين به ؟ هل تمضين نهارك في ملل ؟ أين اذن وسائل التسلية ؟

وسائل تسلية ! لقد كادت ان تنفجر ضاحكة ؟

اني أعرفك أيها الصديق ، ان لك دون شك كثيرات من الفتيات يقابلنك عندما ينتصف الليل !

وتطلعت اليه ، وابتسمت تلك الابتسامة التي تختزنها لكل من يغازلها عابثاً وقالت :

ـ عندما أغادر فراشي في منتصف الليل وأهبط الدرج ، فإنما أفعل ذلك لكي أحتسي قدحاً من الكاكاو ، ومع ذلك فالأمور على ما يرام يا مستر كوري ولا أشعر بشيء من الملل .

وسألها مغيراً مجرى الحديث .

ـ أجد شيء هذا الصباح بعد انصرافي ؟ ألم يحدث أي تغيير ؟

ـ لا تغيير على الاطلاق ، وعلى أية حال فنحن لا نتمنى الا ان تبقى الحال على هذا كل ما نتمناه هو الا تسوء الحال، لقد أكلت جيداً ، ويبدو انها تحاول ان تبذل مجهوداً :

وتساءل كورى :

ـ ما نوع هذا المجهود ؟

ـ يبدو انها بدأت تلاحظ الأشيــــاء التي حولها وتركز عليها بصرها ، كما بـدأت تصغي وتنصت ، وأعتقـد انها بدأت تدرك ، انها عـاجزة مشلولة ..

كان كورى يصغي اليها في اهتمام ، فقد كان يحب مسز مانسون ، ولقد كان من حسن حظها ان هناك كثيرين يحبونها ولذلك أبقوها في دارهـــا ، ترتدى ثيابها ، وحولها اهل بيتها ، بدلاً من ان يلقي بها الى المستشفيات بلا

أنيس او جليس .

واستطردت مس ميلز قائلة :

ـ كما انها بدأت ترقب كل شيء يجرى امامها .. انها طبعاً لا تستطيع أن تدير رأسها ، ولكن هذا سوف يحدث في يوم من الأيام .. وقد أخبرت مستر مانسن بهذا .

ومشوا صامتين فترة من الوقت .

إنها هذه الليلة في عطلة من الثامنة حتى منتصف الليل ، ولها في كل أسبوع عطلة كهذه ، أحياناً تقضيها في بيتها أو في غسل ثياب أمها في الغسالة الكهربائية التي اشترتها ميلي من مالها هدية منها لأمها .

وتطلعت مس ميلز إلى جورج ..

كان لا يزال متجهم الوجه .

وقالت .

ـ سنذهب الليلة إلى السينما يا جورج .

فرد باقتضاب .

ـ ليس الليلة .

ـ ما الذي بك ؟ ماذا دهاك ؟

ـ أسناني تؤلمني .

ـ إذن يجب أن تعرض نفسك على الطبيب .

ـ ربما أفعل .

وفكرت .. انه أحمق مجنون !. ولكن لم أهتم به فليس طول ليلة متوجعاً متألماً ، فلست أبالي .

وقال كوري :

ـ ما رأيك في الدكتور بابوك ؟

ـ إني أثق فيه ثقة عمياء ، وكذلك مستر مانسن .

واستطرد كوري :

– أعتقد انك اشتغلت معه من قبل ؟

وهزت رأسها إيجاباً وغمغمت :

-- نعم .

واستعادت إلى ذاكرتها تلك الليلة . كان ذلك منـــذ أسبوعين ، حين انتزعها دكتور بابوك من فراشها في جوف الليل .

لم يكاشفها بحقيقة الحالة ، ولكنها رفضت ان تلبي عرضه ، والح عليها ، ولا شك انه يريد منها أن تمرض صبياً عمره اثنا عشر عاماً ، وإن الصبي مصاب بكسر في ساقه ، وغير راض عن ممرضته الحاليـــة ، لأنها لا تعرف كيف تسليـه ليلا ، بأن تحكي له بعض القصـص ، وهي ترفض ان تقوم بمثـل هذا العمل .

ولكنه حين كاشفها بأن مسز مانسن هي المريضة ، قبلت على الفـــور ، وصاحبته إلى دارها عند نصف الليل .

و كانت مس سيلز سعيدة بقبولها هذه المهمة ، ولم يكن مبعث ارتياحها أن بيت جورج ملاصق لحديقة مسز مانسون الخلفية ، وأكثر ما أثار ارتياحها هو تعلق مريضتها مسز مانسن بها .

وكان الدكتور بابوك راضياً عن عملها ، وهذا يعني الكثير دون شك ، فإن هذه هي أول مهمة كبيرة تناط بها ، فإذا أفلحت وقامت بواجبها على مـا ينبغي فلا شك انه سيعهد اليها بمهام أخرى أكثر أهمية ..

نعم .. انها ستلازم مسز مانسون حتى النهاية . ولكن ، أية نهاية ، يا ترى ؟. نعم ، ستبقى حتى اللحظة الأخيرة ، سواء كانت لحظة الشفاء ، أو لحظة .. الموت .

وسألها كوري وهو يضغط ذراعها :

-- ما الذي قاله دكتور بابوك صباح اليوم ؟

- إنه لم يحضر يا مستر كوري .. لقد اتصل تليفونياً عقب انصرافك ، وقال انه سيحضر بعد ظهر اليوم ، وما كنت أود ان أتغيب عن البيت عند حضوره ، حتى لو كان مستر مانسون وايا موجودين ، ولكنني اذا تخليت عن رياضتي اليومية شعرت بالاكتئاب ، وهذا ليس من صالح مسز مانسون .

فقال كوري :

- كيف لم يخطر ببالنا أن نستعين بممرضة أخرى بجانبك .

فعلقت مس سيلز بقولها :

- لقد فكرت في هذا فعلا وأشرت الى الأمر ، ويا ليتك رأيت نظرة الخوف التي تجلت في عينيها .. انها تفزع من الناس ، حتى من أصدقائها القدامى الذين يحضرون للاستفسار عن صحتها ، ولذلك منعنا عنها الزيارات . وينبغي أن نحتاط وان نكون على حذر ، حتى بالنسبة لأهل الدار ، مثل هاتي الطاهية ان هذه الطاهية لا بأس بها اذا هي أطبقت شفتيها ، ولكنها منذ أيام انفجرت باكية وأخذت تتحدث عن ابن مسز مانسون .

وتساءل كوري :

- عن روبي ؟ أذكرت عنه شيئاً مزعجاً ؟ هيا حدثيني بما وقع ، وانسي انني عمه .

وتحولت مس سيلز إلى جورج متوسلة :

- ولم لا نطلع مستر كوري على ما جرى بشأن روبي ؟. هيا حدثه أنت يا جورج .

وفي شيء من التردد أخذ جورج يتحدث .

قال : إن البيتين متجاوران يا مستر كوري ، ولا يفصلهما إلا سياج من السلك وفي هذا السياج ثغرات يتسلل الأولاد من خلالها من بيت إلى آخر ؛ يختصرون الطريق .. بدلاً من الدوران ، حول الحدائق ، والدخول

من أبوابها .

وقال جورج أيضاً :

— ان الأسرتين نشأتا متجاورتين ، منذ ان كان طفلا يكبر روبي ببضع سنوات . .

وقال : انه تعود ان يتردد على منزل مسز مانسون كثيراً ، وكان يدخل من الثغر التي بين البيتين . وفي خلال مرض ربة الدار كان يزورها بضع مرات في الاسبوع وكان يحاول ان يسري عنها بالحديث عن أي شيء يخطر بباله عن الجو أو الحفلات والأعياد السنوية .

وقال أيضاً :

— انه عند حلول عيد « جميع القديسين » أخذ يتحدث إلى مسز مانسون عن الأقنعة المخيفة المرعبة التي يضعها المحتفلون على وجوههم اثناء هذا العيد . واتفق وهو يتكلم ان دخلت هاتي ، فما سمعت حديث الأقنعة حتى انفجرت تشهق وتبكي ، والسبب في هذا ان الأسرة اعتادت ان تحتفل بعيد جميع القديسين بأن تضع في غرفة روبي عشرات من الأقنعة المرعبة المختلفة الأشكال، وظلت الأسرة متشبثة بهذا التقليد حتى بلغ روبي الثامنة عشرة من العمر، فطلب من أمه الكف عن هذه العادة لأنه لم يعد طفلا

وتابع جورج الحديث قائلا :

— انه ما أشار إلى الأقنعة حتى بكت هاتي ، وأخذت تتحدث عن روبي، مما آثار مسز مانسون فبدا الألم واضحاً في وجهها .

مع ان من كان في مثل حالتها المرضية ، يجب ان لا يعرضه أحد لأي انفعال او إثارة .

كانوا قد أشرفوا على الدار .

فقال مستر كوري متسائلا :

— أهي في نافذتها يا ترى ؟

فأجابت مس سيلز :

– لا بد ان تكون ، فقد زحزحت المقعد قبل خروجي ليواجه النافذة ، فإنها تحب ان تتطلع إلى الحديقة العامة ، وحذرت من نقله قبل أن أعود .

واستطردت الفتاة تقول :

– من الغريب انها ترفض ان يلمسها احد أو يقترب منها ، ولكن ما ان اعود إلى البيت حتى أشعر انها كانت تترقب عودتي في لهفة . والأمر الغريب في نظري اني لم أتول تمريضها إلا منذ فترة وجيزة ، وأغلب ظني ان بزة المرضات هي التي تجعلها تثق بي ، فهناك كثيرون لا يثقون إلا في هذه البزة الرسمية

ثم ضحكت ومضت تقول :

– وفي هذا شيء من الحماقة ، لأني أقدر أن أروي لكم حكايات تشيب لها الرؤوس عن الجرائم التي ارتكبتها الممرضات

كانوا في هذه اللحظة قد بلغوا البيت ، واستداروا يجتازون البوابة ، وكانت مسز منسون لا تزال أمام نافذتها ، وقد رأتهم يجتازون الحديقة العامة ويتبادلون الحديث .

وقد رأتهم ايما ايضاً قادمون وقالت

– هذا هو مستر بروس وجورج بيري ، قادمين مع مس سيلز ، وأعتقد انها لا بد ان تكون قد ذهبت إلى المحطة لقائهما.

وابتسمت ايما ، ثم أحنت رأسها ولوحت لهم بيدها، وبدا عليها انها سعدت بأن ترى أشخاصاً يبتسمون ويشيرون بأيديهم ويتبادلون الحديث .

مسكينة ايما !.

ها هي ذي تتكلم ، وتتكلم ، وتتكلم ومع ذلك فهي ليست موقنة من ان هناك من يسمعها او يفهم ما تقول .

ومضت ايما تقول :

– يجب ان تعلمي انك سعيدة الحظ ، نعم . أنت محظوظة بأن عثرت على فتاة لطيفة مثل مس سيلز كي تسهر على تمريضك والعناية بك . لو ان لك ابنة لما شهدت منها مثل هذه الرعاية .

وها هوذا مستر بروس كوري أيضاً يغادر شقته الجميلة في نيويورك ليحضر لزيارتك وليسري عنك ، طبعاً إكراماً للأيام القديمة الخالية . إنه رجـــل يكره حياة الريف ويولع بحياة المدن الحضرية ، ومع ذلك يتخلى عن هذا كله كي يزورك .

ثم انه لطيف الحديث ، وأخباره كل يوم في الصحف في باب الاجتماعيات لكنها أخبار لا تشين .

وقفت مسز منسون عن الانصات إلى حديث ايما ، فثمة أشياء أخرى تؤثر أن تصغي اليها .

لقد فتح الباب الخارجي ، وها هم يسيرون في الردهة الصغيرة الخالية من السجاد . والآن يمشون فوق السجاد .

وبعدئذ تناهت إلى سمعها أصواتهم ، وها هوذا صوت رالف يحييهم ، ثم فتح باب آخر ، باب المكتبة ، انهم سيتناولون كأساً من الشراب قبل أن يصعدوا اليها ، متظاهرين رياء بالمرح ، راسمين على وجوههم تـــلالأ من الابتسامات :

– آه ، إنك رائعة اليوم ، إنك في صحة جيدة !. انه لتقدم سريع !. لو استمر التقدم على هذا المنوال ، لكان في وسعك ان تخرجي في عيد الميلاد !.

تخرج ؟. ولكن الى أين ؟ ومع من ؟ مع ابنها روبي !

كان الدكتور بابوك يحثهم دائماً على أن يتحدثوا بهذا الأسلوب وكان هو نفسه يتكلم بالطريقة ذاتها – باسمين ، ضاحكين ، كأنما لا شيء يشغل بالهم .

ولكنها لمحت النظرة التي وجهها الدكتور بابوك إلى رالف منذ أيام . لقد نظر اليه رالف مستفسراً بعد أن فحصها ، وهز الطبيب رأسه ، وهز كتفيه ، كما رفع حاجبيه إلى أعلى ومط شفتيه .

كانت إيماءاته هذه تقول في جلاء :

ــ لا أمل ! لا أمل إطلاقاً إلا بمعجزة .

كانوا جميعاً يترقبون معجزة ، يترقبون أي تغيير ، لقد استشفت هذا من نظراتهم وعرفته من أحاديثهم ..

كانوا يتحدثون عنها كأنها ماتت فعلاً وأصبحت جثة هامدة ، كانوا يتطلعون اليها ليروا إن كان قد طرأ عليها أي تغيير . ولكنها كانت حريصة على ان تخفي عنهم دلائل المعجزة .. لو ان تغييراً حدث فإن عليها أن تخفيه وهي دون شك أشد منهم مكراً .

إن أبسط العلامات قد تنبيء باقتراب المعجزة . أي تقلص مهما كان بسيطاً ، هزة في الإصبع ، وتراخي عضلة من عضلات الجسم . لو ان هذا حدث لانتشر الخبر خلال لحظات في كل ركن من أركان البيت ، بل في كل ركن من أركان البلدة .. ولو ان هذا حدث لكان « النهاية » بالنسبة اليها

« هل عرفت بما حدث لمسز منسون ؟. تصوروا انه بدت عليها دلائل الشفاء ، وفجأة » .

ونظرت إلى السجادة المفرودة على حجرها وعلى ساقيها . وكانت عيناها تناديان وتصرخان :

ــ ايما !. ايما !.

ولاحظت ايما نظرتها المركزة على السجادة .

وقالت مزمجرة :

ــ لم تحملقين في السجادة ؟. لكأنك تريدين ان تلتهميها !. هل معنى

نظراتك انك تحسين برداً ؟. لا أظن لأن وجهك هادىء لا تبدو فيه قشعريرة البرد .. ومع ذلك فإن من واجبي ان أتحسس يديك لأرى إن كانتا باردتين آه . هذا إذن هو السبب. إن يدك تكاد تتجمد. حسناً ، سأغطيها بالسجادة يا لك من مسكينة يا سيدتي العزيزة !

وأسرعت ايا فغطت اليدين المثلجتين بالسجادة .

ولكن هذا لم يكن هو الذي تبغيه المرأة المشلولة . كانت ما تريده الآن هو ان تغادر ايا الغرفة ولو دقيقة واحدة ، إنها تريد ان تخلو بنفسها بضع لحظات لكن كيف يمكن ان توحي الى ايا بما يدور في نفسها ، لقد قرأت فيما مضى ان المرء يستطيع نقل خواطره إلى شخص آخر اذا ما استطاع ان يركز تفكيره على هذا الشيء المعين .

كان هدب السجادة السميك المتصلب مستقر الآن في راحة يدها وأطبقت عينيها وأخذت تحلم بما سوف يكون .

وفي هذه اللحظة دخل الأربعة إلى مخدعها من الباب الذي لم يكن واقعاً في مجال نظرها ، كانوا أربعة وهم رالف زوجها وبروس وجورج بيري ومس سيلز ، ولكن كان معهم شخص خامس . شخص غريب . وانتزعت نفسها من رحلتها الحالمة ، وفتحت عينيها حين شعرت انهم اصطفوا أمام مقعدها ، وعندئذ عرفت من يكون الخامس . انه دكتور بابوك .

واستطاعت في شيء من الجهد ان ترغي عينيها ، حتى استقر بصرها على قدمي طبيبها ، وعندئذ عرفت ان الجو كان ممطراً ، فقد لمحت آثار البلل على حذائه .

وقالت مس سيلز في نبرة مرحة مبتهجة :

– سنقضي معاً سهرة ممتعة بمجرد ان يشعل جورج نار المدفأة . ها هو جورج معنا ، وهو يقول انه يريد شراباً ، ولكننا سنقدمه اليه ، مقابل عمل ينجزه . ومعنا شخص آخر ، قابلته في المحطة ، فهل نقدم اليه شراباً

هو أيضاً ؟

إن مس سيلز سعيدة مبتهجة . إنها تحب احد هؤلاء الأربعة ، فمن يكون يا ترى ؟

بهذا حدثت المشاورة نفسها .

وكانت مع رالف صينية فوقها أقداح الشراب . ووضع الصينية على المنضدة ذات المجلات ، ومنضدة الأدوية وأدوات التجميل ، وسمعت أزيز الأخشاب وهي تحترق ، إنهم إذن يشعلون المدفأة الآن . وسمعت رنين ضحكة مكتومة ، إنها مس سيلز وجورج يضحكان ، إذن فجورج هو الذي تحبه .

ومال بروس فوقها يقبل وجنتها :

— كيف حال طفلتنا العزيزة اليوم ؟

وسحب يديها من تحت السجادة وأخذ يدلكهما في رفق ، وهو يبتسم في وجهها إبتسامة حانية رقيقة

وقال لها ضاحكاً :

- لقد بدأنا نتناول الشراب في المكتبة ، ثم جاء الدكتور بابوك ونصحنا بأن نشرب اللبن لقد قال ان اللبن هو الشراب الوحيد الذي يصلح للأطفال مثلنا والبنات مثلك .

وأغرقوا جميعاً في الضحك .

كانت شراريب السجادة الآن فوق ركبتيها ، ولكن ما الفائدة ؟ لقد تبددت الاحتمالات الرائعة التي كانت تدور في رأسها وتحلم بها .

ولم ينتظر دكتور بابوك الآخرين ، وإنما رفع كأسه إلى شفتيه ، وأفرغه في جوفه جرعة واحدة ، نخب الآخرين .

ثم مصمص شفتيه قائلا :

— هذا حقاً هو الشراب الذي يصلح للأولاد .

وضحكوا مرة أخرى وحتى ايما ضحكت وقالت :
– انك لم تصف لي أبداً يا دكتور دواء مثل هذا !
وأغرقوا جميعاً في الضحك من جديد

ودار رالف بالشراب على الحاضرين من ويسكي بالصودا في أقداح بللورية من النوع الفاخر إنها الأقداح التي اشترتها بنفسها منذ أقل من ستة أسابيع من محلات تيفاني .

نعم ، إنها ستة أسابيع ليس إلا ، في اليوم الذي تناولت فيه طعام الغداء مع ابنها روبي في فندق بلازا..

وجاء رالف بقدح اللبن ، وأدناه من وجهها ، وكانت الشفاطة في يده الأخرى .

وقال :

– كفى شروداً يا حبيبتي ، هذا احتفال نقيمه من أجلك . والآن خذي شفطة صغيرة من يد رجلك العجوز .

ولكنها أطبقت شفتيها وزمتهما ، ومضى يلح عليها ويدللها .

وقال :

– هيا يا عزيزتي إن بروس هو الذي أعده بنفسه ، هيا ، انظري انه لذيذ جداً ، سآخذ شفطة لنفسي .

وكان الألم بادياً في وجه بروس

وقال في صوت ضاحك :

– ما معنى هذا ؟ هل أنت ذواق السموم الذي كان يستخدمه الملوك قبل أن يلمسوا طعامهم ؟

– أوه ! يا لها من نكتة ! ما كان ينبغي التحدث عن السموم ما كان له قول شيئاً كهذا .

بهذا أخذت مريضتنا تحدث نفسها .

وفي حركات سريعة عبرت مس سيلز الغرفة ، وتكلمت في نبرة غاضبة .
قالت لهم ان مثل هذا الحديث ما كان يليق ان يصدر عنهم ، ما كان ينبغي أن يذكروا السموم .

وأمسك رالف وبروس بكلتا يديها برفق ، وأخذ رالف يعتذر اليها في ذلك

- إصفحي عني، فقد كنا أحمقين . إننا ننسى أحياناً ما ينبغي أن يقال وما يجب ألا يقال .

وقبل بروس يدها ، وفي رفق وضعها فوق السجادة ، ثم أخذ اللبن من رالف ودس الشفاطة بين شفتيها .

وطاب لها مذاق اللبن ، كان لبن ممزوج بالروم مع قليل من القرفة ، كان يجب ان تدرك ان لا شيء في اللبن غير هذا . يا لها من فكرة سخيفة فكرة السم

وجاءت ايا مهرولة وقالت انها ستجهز العشاء :

- انه لحم مشوي لذيذ،سوف يعجبكم اللحم، والآن ماذا تريدين ان تأكلي اني أستطيع ان أدرك ما يدور في ذهنك

هيا ركزي ذهنك ، انقلي أفكارك إلى ايا عبر الأثير ، ركزي على يديك وعلى السجادة ، اني أريد يا ايا ان تضعي يدي تحت السجادة عند الهدب عند الشراريب .

والتفوا حولها وحول إيا ، مترقبين متطلعين هل تستطيع ايا حقاً أن تقرأ أفكار المشلولة التي لا تنطق ، فتعرف ما تطلبه للعشاء .

وقال الدكتور بابوك .

- يحسن بك يا ايا ان تنصرفي انك ترهقينها .

وقالت ايا في لوم وعتاب :

- إني أعرف ما تريد ، ألا ترون انها تركز بصرها على يديها ؟ وهي تريد

مني ان أغطي يديها ، ان أضعهما تحت السجادة ، فقد اكتشفت هذا بعد ظهر اليوم ، وبدا عليها الارتياح حين غطت يديها بالسجادة ، إنهما باردتان لا حرارة فيهما ولا حيوية أنظروا .

وفي صوت حازم قالت ايما :

– هيا ! فلنحول مقعدها ولنقربه من المدفأة . وهي ستكون سعيدة بالدفء ، سعيدة بوجودكم حولها ، ولكن . خفضوا من أصواتكم وضجتكم .

وانبرت مس سيلز تقول :

– أريد معرفة من هي الممرضة هنا ؟ أنا أم أنت ؟ هل أريتني مؤهلاتك العلمية يا سيدتي ؟

ضحكوا جميعاً ، ودفعوا بمقعد المريضة يدنونه من المدفـأة ، ثم غادروا الغرفة الى قاعة الطعام ، وإلى أذنيها كان يتناهى صليل الكؤوس ، تلك الكؤوس التي اشترتها من أحد محلات الشارع الخامس حين دعاها روبي إلى تناول الغداء معه

وسألت ابنها روبي لم يرهق نفسه بالعمل في البنك ؟ لقد ورث عنها ضميرها الحي ، ولكنه لن يكون في حاجة الى هذا العمل المضني ، إن في وسعه ان يسافر إلى أوروبا بعد عام ، وان يتفرغ للكتابة . إن الكاتب لا يحتاج إلا لرزمة من الورق وقلم يكتب به

وفي طريقها الى فندق بلازا لمحت صورتها في واجهة أحد المتاجر ، راقت لها صورتها وقالت في نفسها

– إني لا زلت جميلة ، اني أبدو فتاة في الثلاثين .

واجتازت عتبة الفندق وهي معجبة بنفسها ، وتلقاها رئيس الجرسونات مرحباً وقال لها .

ان مستر كوري (ابنها روبي) أخطرنا تليفونياً بأنه سيحضر بعد

عشر دقائق .

وتناولت قدحاً من شراب خفيف . وفيما هي تحتسي جرعة منه جاء روبي. وعرفته من خطوته حتى دون ان تستدير .

ومال فوقها يقبلها .

وتحولت اليه تتأمله وثبوت الدهشة في عينيها ، وهتفت به :

– روبي ، ما الذي دهاك ؟ انك لم تحلق ذقنك فلم أهملتها ؟

- قد شغلني العمل عن الحلاقة .

– أرجوك يا روبي ، لا تخف عني شيئاً صارحني بالحقيقة .

فقال انه متعب ولا شيء غير هذا ، كل مـــا هنالك انه متعب ، ثم لاذ بالصمت بعدها لا يقول شيئاً .

وأخذت الأم تتحدث إلى ابنها، أفضت اليه بكل ما يدور برأسها. حدثته بالتفاهات والسخافات والأشياء الصغيرة التي لا تهم أحداً . حدثته عن القوط الجديدة التي اشترتها والكؤوس الجديدة ، ولكنه كان شارد الذهن لا يصغي ، لا بد انه مريض .

– روبي ، مما تتألم ! أين تحس الوجع ؟ لا تكن طفلاً ، هـــل انت مصاب بالمصران الأعور ، هل هو قلبك ؟

وقال ضاحكاً :

– اني لست مريضاً ، أؤكد لك اني بخير .

وأدركها اليأس واستسلمت .

لا داعي لأن تلح عليه بالسؤال . الليلة ستذهب إلى مخدعه وتخلو به وتوجه اليه ما تشاء من الأسئلة .

وسألته :

– هل ستتناول عشاءك الليلة في البيت يا روبي ؟

– أظن ذلك .

وكان هذا هو كل شيء ، عداء حزين صامت ، واستقلت السيارة ورجعت إلى بيتها .

في تلك الليلة دخلت اليس بيري إلى غرفة ابنها ، وكان جورج جالساً في الفراش يقرأ .

ونظر إلى أمه صامتاً دون ان يتكلم .

وسألته :

ـ مالي أراك متجهم الوجه؟

ـ أسناني تؤلمني .

ـ عليك إذن ان تعرض نفسك على الطبيب .

ـ وما الداعي ؟ سيزول الألم من تلقاء نفسه .

ـ انك تتصرف أحياناً كالأطفال . إن لدي دواء مسكناً فاستعمله اليوم ، ولكن عليك ان تزور الطبيب أول شيء في الصباح .

ودارت بالغرفة تنسقها وتصلح من وضع المقاعد .

ـ هل زرتها اليوم ؟ كيف حالها الآن ؟

لم يكن في حاجة إلى ان يتطلع إلى أمه ليعرف إلى أين تتجه بنظراتها عبر النافذة .

وأجاب :

ـ نعم زرتها اليوم وتناولت بضعة كؤوس من الشراب . إن حالة مسز منسون لم تتغير .

ـ ألا زالت عاجزة عن الحركة ؟ مسكينة هذه المرأة .

ـ طبعاً مسكينة فهي لا تتحرك ولا تتكلم .

واستطردت الأم تقول :

ـ إن رالف منسون لا يحدثني بشيء عنها ، وبروس كوري لا يقل عنه سوءاً ، اني استفسر عنها تليفونياً كل يوم تقريباً ، ومن حين لآخر أتردد على

البيت بنفسي اني أعرف نورا منسون منذ ان كانت نورا كوري عند زواجها بمستر كوري .

وقد ذهبت لزيارتها إذ ذاك عندما حلت بهـذا البيت ، وقد صحبتك معي وأنت لا زلت صبياً صغيراً وكان روبي لا يصغرك إلا بأعوام قليلة، ورالف وبروس يعرفان هذا تماماً ولكنهما يتصرفان احياناً كأنما لا يريدان مني أن أطرق باب البيت .

وعقب الابن بقوله :

– لا داعي لتجسيم المسألة، اني أظن انهما يريان ان من الأفضل لها ألا تقابل أحداً غير أهل البيت ، لأنها إن بدأت تدرك حقيقة حالتها ، فقد يؤدي ذلك لانفعال عنيف حين ترى صديقاتها القدامى

فقالت الأم :

– ما هذا التخريف يا جورج ؟ أنت تراها وتقابلها ومع ذلك فلست من محيط الأسرة .

فقال :

– هذا صحيح ، لكني غير مرتبط بمسز منسون إرتبـــاطك انت بها ، فرؤيتك انت لها وهي على هذه الحال يسبب لها انفعالاً قد يؤدي الى نكســة خطيرة . وهم لا يريدون لها هذا . انهم يريدون ان تحيا حياتها الجديدة في هدوء دون ان تفكر في الماضي وفيما كانت عليه ، حتى لا تقارن بين الماضي والحاضر

– جورج . ان لك أخلاق أبيك ، انك تعاملني كما لو كنت غبية لا أفهم اني اظن ان حالة مسز منسون لن تتقدم أبداً .

– ولم لا ؟ ما الذي يجعلك تعتقدين هذا ؟

– لقد عادها كثير من الأخصائيين القادمين من المدينة فلو انه كانت لديهم بارقة من أمل لقالوا هذا . لكنهم يجيئون ويعودون دون ان يتفوهوا بكلمة

واحدة تبشر بالأمل .

الان بابوك هو الطبيب الوحيد الذي يعودها .

هي فقدت عقلها ، اليس كذلك ؟. ومع ذلك فما كان لها عقل يمكن ان تفقده .

وتناول جورج الكتاب الذي نحاه جانباً ، ووضعه على السرير ، عند دخول أمه .

وكانت هـذه الحركة منـه ، ايذاناً لهـا بالانصراف ، ولكنهـا ذهبت هباء .

قالت :

ـ انك لا ترد يا جورج ، فهل التهمت القطة لسانك ؟

وظلت واقفة عند فراشه تنظر اليه وتبتسم .

ـ انه وجع أسناني ، كلا هي لم تفقد عقلها .

ـ اذن فما هو تشخيص حالتها ؟

ـ صدمة عصبية وشلل . وهما مرتبطان معاً ، وقد شفيت حالات كثيرة مثل هذه .

ـ حقاً ؟ انه يسعدني ان اسمع هذا .

ودنت من النافذة ، وجعلت تتحسس الستائر وتتأملها .

ـ ما اجمل هذه الرسومات !. كانت صفقة رائعة . اني أعرف كيف اتسوق .

ثم اردفت :

ـ لقد ذهب ابوك الى السينما ، لا بد انه جن حتى يذهب في ليلة كهذه ! لقد سألته عن اسم دار السينما التي سيذهب اليها فأجابني انه لم يقرر بعد. انه في الحق رجل عجيب شاذ الطباع .

فقال جورج :

- انه يحب المطر . انه يحب ان يمشي تحت المطر.

- ويعود وبنطلونه غارق في الماء وثيابه تنضح بلولة ، هـذا عجيب ! إن غرفتها تشع نوراً ، أفي مثل هذه الساعة من الليل ؟

- انه المـدلك .. هذا هو الموعـد الذي يحضر فيه . ثم تنـام بعد ذلك .

- بعد تناول منوم طبعاً ؟

- نعم ، ما هذا الذي تفعلين ؟. إني أحب ان أتطلع إلى الخارج من وراء الزجاج .

فقد سمع خشخشة الستائر وهي ترخيها .

وردت :

- وهل هناك ما يستحق أن تشاهده .

- طبعاً هناك ما يستحق المشاهدة ، المطر وانسياب قطراته ، كما هو شأن أبي .

- ما أسخف هذا ! ثم ان النافذة غير محكمة ، والستائر هي التي تصـد عنك التيار الهوائي ، لقد رأيت الفتاة تغادر البيت منذ قليل رأيتها من نافذة المطبخ وأعتقد انها رأتني .

- إنها تدعى مس سيلز يا أماه ، اي مس ميلي .

- إسمع يا جورج ، انك تعرف إني لا أحب هـذه الفتاة . هي ليست من طبقتك ، إن لديك الكثير من المميزات ، والفضل في هذا إنما يرجع إلي ، إني سأموت فيما إذا وقعت في شباك فتاة عادية كهذه الفتاة .

- هوني عليك يا أماه ، ثم اني مصاب بوجع الأسنان ، ولا أشعر بميـل للحديث .

- أتحسبني بلهاء ؟ انك تريدني ان أنصرف كي تهرول لمقـابلتها ، انك لن تخدعني بادعائك ان أسنانك تؤلمك .

— الواقع ، إني لم أفكر في هـذا من قبل ، ولكن بما انك أوحيت لي بالفكرة .

— جورج ! اني لا أستطيع ان أتصور أين تذهب هذه الفتاة ليلاً . لقد تجاوزت الساعة الثامنة والنصف ، عندما خرجت من البيت . إن الأمر يبدو شاذاً مثيراً للشكوك .

فقال جورج وقد ضاق بحديث أمه :

— إن هذا يحدث دائماً في ليلة عطلتها ، فهي تخرج عادة لتزور أمها ، فهي مولعة بها ، أما أبوها فكان في حياته من رجال الجامعة ، والآن وقد عرفت كل شيء عنها فهل لك في دعوتها إلى تناول الشاي هنا بعد ظهيرة يوم من الأيام إن لديها عطلة أيضاً بعد ظهيرة كل يوم .

فقالت أمه في غير اكتراث :

— حقاً ؟

— ولم لا ؟ سأشير عليها بأن تلبس الفستان البرتقالي ، وعندها لن تفرق بينها وبين سيدات المجتمع .

وأسعده أن رآها تغادر الغرفة ، في خطوات غاضبة ، وهي تصفق الباب وراءها

ولبث في فراشه برهة يتحسس فكه ، ثم هب واقفاً ومضى الى الحمام وتناول من دولاب الصيدلية دواء مسكناً ، ثم رجع إلى مخدعه .

أزاح الستائر ، ومن فرجتها أخذ ينظر إلى بيت مسز ملسون كان المطر قد صنع غلالة رقيقة أمام عينيه ، ولكن معالم البيت كانت واضحة بأنواره الباهتة .

وانثالت على ذهنه الذكريات . ذكر انها كانت تقول انها تحب أن ترقبه هو وزوبي يلعبان معاً ويمرحان في الحديقة . وكان البستـــاني قد جاء بسلمه وركنه على إحدى الأشجار وتسلقه ، ثم أخذ يهز فروعها فتتساقط منها

التيار فيهرعان إلى جمعها .

والآن ها هي غرفتها مضاءة ، والنور ينبعث منها .

وبدأت الأنوار تنطفيء واحداً بعد الآخر ، حتى لم يعد باقياً منها إلا مصباح واحد خافت الضوء .

وبدا أمامه شبحان من وراء الباب الزجاجي الأمامي وعرفهما على الفور. هذه المرأة هي ايما ، أما الرجل فهو المدلك ، انه دميم الخلقة لكن ميلي قالت عنه انه يجيد مهنته

ومضى جورج يتابع الرجل بنظراته وهو يستأذن بالانصراف ثم تابعه ببصره ايضاً وهو يعبر الحديقة متجهاً الى المحطة .

ثم لمح شبح ايما وهي تروح وتجيء في البهو

انها امرأة نشطة لا تكل الحركة ، وتؤثر ان تقوم بنفسها بجميع الأعمال ، وتكره ان تعتمد على غيرها .

وتحسس جورج فكه من جديد ، انه لا شك احسن حالاً الآن .

وارتد عن النافذة ، وانطرح على فراشه ، وقد نشر الكتاب بين يديه .

كان الهواء يهب في عنف ، فتهتز له الستائر ، وهو قابع تحت الأغطية ، مسلما نفسه لخواطره وأفكاره وحيداً لا يزعجه احد

وفجأه رن جرس التليفون في الطابق الأعلى . ان الجهاز الإضافي موضوع في نهاية البهو بالقرب من غرفة امه .

ولم يلاحظ جورج عدد المرات التي رن فيها الجرس فقد كان ذهنه شارداً الى بعيد ، عبر الليل الذي يغلفه الظلام ، وعبر الحدائق المبتلة الشجر . كان ذهنه هناك بعيداً عند بيت سيلز وفجأة كف التليفون عن الرنين وغرق البيت في سكون رهيب

وفي تلك اللحظة كانت ايما قد رجعت الى غرفة مسز ملسون .

دارت ببصرها في ارجاء الغرفة لتستوثق من ان كل شيء معد وفي موضعه

ها هو الستار مسدل يصد تيار الهواء والمدفأة تشع ناراً خفيفة والمقاعد مصفوفة في مواضعها المألوفة وقدح اللبن فوق المنضدة ، والى جانبه علبة الحبوب المنومـة .

لقد حذرت مس سيلز اهل البيت جميعـاً من الاقتراب من المنوم . هي الوحيدة التي من حقها ان تقرر اذا كان ضرورياً ان تتناول مسز منسون حقنة منومة ام لا . هذه مسؤوليتها وحدها ، لا تنسوا ان من المحتمل ان تقع حوادث مؤسفة بسبب تدخل الآخرين في عمل الممرضات .

وفي برود غمغمت ايما :

– إني لا يمكن ان اخطىء ، اني استطيع ان ازاول التمريض كأحسن الممرضات .

كانت الساعة الموضوعة على رف المدفـــأة تشير الى التاسعة والنصف ، وفكرت ايما في ان هذا هو الموعد المألوف الذي اعتادت فيه مس سيلز ان ترجع الى البيت . إلا إذا اعاقها المطر .

وهذا على اية حال امر بعيد الاحتمال ، فالشباب يجب ان يشق طريقه حتى تحت وابل من الأمطار .

واخذت ايما تفرك عينيها . كان النعاس قد دب الى جفنيها و كانت جـــد متلهفة لأن تندس في فراشها الدافىء ، تحت اغطيتها الثقيلة وزجاجات الماء الساخن تبعث الدفء في قدميها ، ونفضت النوم عن عينيها او على الأقـــل حاولت . لا بد ان تغسل وجهها بالماء البارد حتى تستفيــق وتطرد النعاس ، بهذا حدثت نفسها

ستجري مهرولة الى الحمام وتنضح وجهها بالماء ولن يستغرق الأمر منها سوى دقائق معدودة وليس اكثر من هذا .

كان هناك حمام ملاصق المخدع ، وبينهما باب متصل وذكرت تعليمات مس سيلز هذا حمام خاص لا عام وليس لأحد ان يستعمله .

نعم تلك هي التعليمات ولكنها قررت مخالفتها ليس لهذه المتعجرفة مس سيلز ان تصدر اليها امراً .

والقت نظرة سريعة على الشبح الراقد على الفراش .. يا إلهي ، انها هادئة جداً جداً وساكنة ، كأن ليس هناك جسد تحت الغطاء . كانت اهدابها الطويلة الفاحمة السواد تكشف الوجه الشاحب بجلاء .

واستدارت لتدخل الحمام الملاصق ولكنها ما لبثت ان غادرت الغرفة متجهة الى الحمام الكبير الواقع في الطابق الأرضي .

هبطت مسرعة الى البهو وكان معتماً بل شديد العتمة . واستشفت أذناها انغاماً موسيقية صادرة من مكتب مستر رالف في آخر البهو لا شك ان المدلك قدم تقريراً طبياً والا لما اداروا الراديو فإنهم يبدون متجهمي الوجـــه حين يكون التقرير متشائماً غير مشجع ومع انهم يحاولون خداعها بالبقاء طويلاً في مخدعها والتحدث فيما بينهم عن تقدم صحتها وقرب شفائها ومغادرتها البيت . وهم يرددون هذا في صوت مرتفع حتى يتناهى حديثهم لسمعها

كل هذا خداع واكاذيب يعمدون اليها حين يكون تقرير المدلك سيئــاً . نعم ، هذا هو ما يفعلون ولكن حيلتهم لا يمكن ان تخدعني ان انا لا تنخدع بمثل هذه الألاعيب .

وبلغت البهو ومشت في خطوات خفيفة خامدة الى الحمام الواقع في آخر البهو . لم تكن المناشف قد استبدلت . تلك هي مهمتها . ولكنها نسيت هؤلاء الضيوف الذين جاءوا على غير توقع يتناولون الشراب والطعام ومالت فــوق الحوض وفتحت الصنبور ونضحت وجهها بالماء وشعرت عندها بالنعاس يتبدد وقد استفاقت تماماً .

كان في آخر الحمام دولاب مشيد بقلب الحائط كانت تراه كل يوم ولقد لاحظت الانبعاجات البادية في ضلفته ، وكم من مرة تســاءلت عن السبب فيها . وكانوا يتخذون من هذا الدولاب لهدايا الأعياد يخازنونه فيه حتى تحين

ساعة الاحتفال بالعيد ، واليوم ما عسى ان يحدث وربة البيت طريحة الفراش ، وأي عيد يمكن ان يحتفلوا به ومسز منسون مشلولة لا تقوى على الحركة

وارتدت خارجة من الحمام ، راجعة لغرفتها وهي تسير في بطء متمهلة ، ورأسها منكسة .

كانت تحس الآن بحقيقة أمرها . هي عجوز مهدمة وتعرف هذا معرفة اليقين ، ولو ان الموت نزل بها ليلاً والفرها جثة هامدة في الصباح لما أزعجها الأمر فقد حانت النهاية ليس الآن وإنما منذ سنين .

كانت مصابيح غرفة المريضة مطفأة كلها إلا واحد يرسل ضوءاً ضعيفاً يشبه ذبالة الحياة التي تتردد بصدرها وصدر ربة البيت .

فأرسلت إيما نظرة سريعة لأنحاء الغرفة هوذا إبريق الماء وبجانبه الحبوب المنومة فوق المنضدة . ثم نظرت إلى ذلك الجسد الهزيل الراقد تحت الأغطية والسجادة كان الجسد ساكناً ولا عجب بكونه ساكناً بعد ان فقد القدرة على الحركة

وخيل اليها أنها لمحت شيئاً يتموج فوق السجادة في الموضع الذي تستقر تحته يد المريضة . لا بد انها واهمة ، إنه دون شك انعكاس الضوء

إستوت ايما في مقعدها وأطبقت عينيها وما لبثت ان غلبها النوم وغرقت في حلم مخيف أشبه بالكابوس .

وسمعت ايما تتأوه في نومها متعبة منهكة وانتزعتها التأوهات من حلم جميل أشاع في نفسها شعوراً بالسعادة .

كانت تحلم بأن أصابعها استطاعت ان تلتف حول هدب السجادة وقد أصبحت أقوى وأصلب .

وأفاقت على تأوهات إيما وحاولت ان ترتد إلى النوم متشبثة بالحلم الجميل لكن بغير جدوى .

وفتحت عينيها ونظرت إلى ايما ، كانت جالسة في ركن معتم وكانت نيران المدفأة قد انطفأت . وفي موضعها هذا لم تكن ترى الساعة الموضوعة فوق رف المدفأة ، ولكن وجود ايما في الغرفة معناه ان موعد رجوع مس سيلز لم يحن بعد .

وكانت المنضدة قريبة تستطيع رؤيتها واستقر بصرها على زجاجة الحبوب المنومة وقدرت ان تعدها ، أربع حبات فقط ، فقد كانت ظاهرة للعين .نعم أربع حبوب فقط فقد عدتها أكثر من مرة والجرعة المقررة حبة واحـــدة يدسونها في فمها ثم يتبعوها بجرعة لبن ساخن.

وكان من عادتها ان ترفض اللبن ان لم تكن زجاجة الحبوب برأى منها ، فما يدريها ان أحداً يدس في اللبن حبة أخرى .

وهي حريصة عند تناول الدواء ان يجتمع في الغرفة عدد من الأشخاص ربما ستة أشخاص

نعم ، إن في الزجاجة الآن أربع حبات ، ترى هل سيصفون دواء جديداً الليلة ؟

ولكن ما هذه الدقات المتتابعة على زجاج النافذة ؟

أهناك من يكتب على الآلة الكاتبة ؟

آه ! هذه نقط مطر لا دقات آلة كاتبة .

في ذلك اليوم الذي تناولت فيه الغداء مع ولدها روبي في مطعم بلازا ، كانت السماء صافية مشرقة ، ولم يكن الجو ممطراً .

بعد ان فرغت من الطعام لم تعد إلى البيت مباشرة وإنما ظلت ساعة تتسوق وتتفرج على واجهات المحلات ثم ذهبت إلى البنك فقد يصحبها روبي معــه في عودته للمنزل ، أو رالف ، أو ربما بروس ..

وابتسمت حين ذكرت بروس هو مولع بالنساء وأغلب الظن انه في هذه السن سيقع فريسة فتاة صغيرة طائشة .. إن الكهول أمثاله يذهبون فريسة

وحين توقفت بها السيارة أمام البنك كانت قد فرغت من تحضير مصيدة توقع فيها بروس .

ستقول له انها تفتقد النزهات الطويلة التي اعتادا القيام بها معاً .

ستقول أن له عندها ممزة لا تقل عن المزة التي كانت لأخيه – زوجها الأول لكن لا .. لا . مثل هذا الحديث لا يجدي .

وتضرج وجهها احمراراً . ما عساه يظن بها إن هو سمعها تردد في سمعه هذا الكلام

دخلت البنك واتجهت مباشرة إلى المكاتب الواقعة في الجهة الخلفيـــة . واستقر رأيها على ان تقول لبروس انها قلقة بشأن روبي وهو يظهر منزعجاً ، متوتر الأعصاب ولعله هو نفسه قد لاحظ ذلك وسأذكره بأنه يمت لروبي بصلة القرابة هو عمه

سأدعوه لتناول العشاء معنا ، وسأرتدي ثوب السهرة العاري المكشوف الذي يخلب الألباب ويبهر البصر .

دخلت مكتب زوجها وهي سعيدة مشرقة الوجه ، لكن رالف لم يكن في غرفته .

كانت سكرتيرته مس هاربر منهمكة في صقل أظافرها ، وبدا عليها الارتباك فقالت :

– لقد انصرف مستر منسـون ، منذ نصف ساعـة . هل تأمرين بشيء .

فترددت برهة ثم قالت :

- كلا .. شكراً .. أتعرفين أين ذهب !. هل ذهب إلى النادي أو رجع إلى البيت ؟

– إنه لم يصارحني بنيته يا مسز منسون لكني اظنه رجع إلى البيت فقد ملأ

محفظته بالأوراق ، ومن عادته حين يفعل ذلك ان .

ــ نعم ، نعم .. اني فاهمة .

إنه يحشو المحفظة بالورق ويعمل في البيت حتى ساعة متأخرة من الليل ، انه متشبث بأن يكون مديراً تنفيذياً بكل معنى الكلمة .

واستطردت :

ــ ترى هل يتوقف العمل في البنك ، وتشل حركته إذا أنا صحبت إبني معي ؟

وردت مس هاربر :

ــ إن مستر روبي لم يعد للبنك بعد الغداء ، وسمعت مستر ملسون ومستر كوري يشيران لهذا .

ــ يشيران لهذا ؟ أتعنين أنهما كانا بحاجة اليه ولم يعثرا عليه .. هما يعرفان انه كان معي .

فظهر الارتباك على الفتاة وردت :

ــ إني لا أعرف شيئاً ، يا مسز ملسون . كل مـــا هنالك ، اني سمعتهما يسألان عليه ، وقد ظننا انه . أوه . اني لا أعرف شيئـا عن الموضوع .

وظنت في نفسها ان السكرتيرة فتاة بلهاء ، وهي لا تدري شيئاً مـا يدور حولها .

ــ لا عليك يا مس هاربر ، شكراً لك .

وهمت بأن تقول ان ابنها روبي يمكن ان يحضر حين يشاء او ينصرف حين يشاء فهذا على أية حال بنك أبيه وجده.

لكنها بدلا من هذا قالت :

ــ سأذهب لمقابلة مستر كوري ، فلعله يصحبني في عـودتي إلى البيت .

وهمت مس هاربر بقول شيء عن مستر كوري ، لكنها ما لبثت ان بترت العبارة وابتلعتها قبل ان تلفظها . في الوقت ذاته انبعثت واقفة ، وأخذت الحقيبة والقفاز قائلة :

ــ أعرف يا مسز منسون انك ستسمحين لي بالانصراف لأني على موعــد عاجل .. موعد عاجل جداً .

ورسمت على وجهها بسمة زائفة ..

وأسرعت تغادر الغرفة مضطربة .

كان باب غرفة مستر كوري مغلقــاً ، وحين قرعته ولم تتلق جوابــاً ، فتحته ودخلت .

كانت الغرفة خالية ليس فيها أحد . وحين استدارت رأت بالباب كاتباً ينظر اليها وفي عينيه نظرة هلع ، فابتسمت له تحييه ، ثم مضت راجعة الى السيارة .

وطول الطريق الى البيت كانت تردد في نفسهــا انها كانت سعيدة هــذا الصباح ، بل كانت سعيدة جداً .. والمرء اذا سعد صباحاً فأكبر الظن انه سيقضي مساء حزيناً .. لكن لماذا ؟ ما السبب ؟ لا سبب على الإطلاق . نعم لا سبب يمكن ان يثير حزنها .

بدأت تعد العشاء . كانت موقنة من ان الرجال الثلاثة سيحضرون هذا المساء ، وسيتناولون الطعام معاً ، وسترتدي الثوب العاري لتبهر أبصارهم . وما يدريها هم سبقوها للبيت . ولكن لم يسبقوها ؟ هل الليلة احتفال بشيء ما غاب عنها ؟ عيد ميلاد مثلاً ؟

عبر النافذة رأت اليس بيري تسير في خطوات متمهلة منكسة الرأس . ان اليس لا تبدو اليوم على عادتها مرحة نشطة . وهمت بأن تلوح بيدها تدعو اليس للركوب معها في السيارة

لكن ذكرت كلمة قالها زوجها رالف ، فجعلتها تتابع طريقها دون

أن تتوقف .

لقد قال رالف

– اذا كان الجو رديئاً فيمكنك ان تدعو لمشاطرتك سيارتك من تمرين بهن من صديقاتك . أما اذا كان الجو طيبـــاً فامض في طريقك ، وإلا ظنت صاحباتك انك تتباهين عليهن بسيارتك الفخمة ، وخاصة النساء من طراز اليس بيري ، فهي إمرأة حسود تنفص على الناس ما أنعم الله به عليهم

وقد ردت على رالف بقولها

– إني أعرف اليس بيري منذ كان جورج وروبي طفلين صغيرين، اني أحبها وأنت مخطىء بسوء ظنك بها .

وأدارت رأسها إلى الناحية الأخرى ، متظاهرة بأنها لم تر صديقتها ، وتابعت طريقها إلى البيت .

لبت ايما رنين الجرس وفتحت الباب .

كانت عائدة من السوق لتوها ؛ فلا تعرف إن كان مستر رالف أو مستر روبي قد رجعا الى البيت أم لا .. كما انها لا تعرف شيئـــاً ؛ عن مستر بروس .

فقالت لايما:

- سأتصل بمستر بروس تليفونياً وأدعوه لتناول العشاء معنا الليلة ؛ فأرجو ان تعدي الألوان التي يحبها

وأخذت تسرد عليها بعض الأصناف التي يؤثرها مستر بروس .

ثم صعدت الى غرفتهـا ؛ واتصلت بمسكنه تليفونياً ؛ لكن أحداً لم يرد فاتصلت بناديه ؛ فأنبأوها انهم يتوقعون قدومه للمشاركة في لعبة البريدج فتركت له رسالة .

وأعدت الثياب التي سترتديها في المساء ؛ ودخلت إلى الحمـــام

لتأخذ دوشاً .

وفيما كان الماء ينساب فوق جسدهـا ، تناهت إلى أذنيها ، حركة في مخدعها .

فهتفت متسائلة :

– رالف ؟

فأتى الرد :

- اني بروس يا عزيزتي ، وسأنتظرك هنا حتى تخرجي .

وقالت :

– تصور اني كنت أبحث عنك في كل مكان لأدعوك للعشاء

– هذا ما جئت من أجله .

– لكن ما الذي أصاب صوتك ؟ هل انت مصاب بالبرد ؟

– كلا ، لا أظن .. لكن لا .. اني فعلاً مصاب بالبرد .

– لدي دواء يشفيك كالسحر .. هل .. هل جـاء رالف معك ! أو روبي ؟

– كلا ، لقد جئت وحدي .

وتابعت نورا وهي في الحمام منهمكة بتجفيف جسدها :

– لقد ذهبت اليوم الى البنك بعد ان تغديت مع روبي ، والواقع اني قلقة بشأنه فهو يبدو متعباً مكدوداً شارد الذهن . لكنني لم أجد أحداً منكم في البنك . وهذه السكرتيرة الحمقاء مس هاربر .. الحق اني لا أدري كيف يتحملها رالف ، لكن أتعرف أين ذهب روبي !

ورد في اقتضاب :

– انني لم أقابلـه .. ولكن كيف حالك انت يا نورا . لقد مضت فترة طويلة منذ .

فقاطعته .

– هذه غلطتك انت . إقرع الجرس ، واطلب من ايما ان تأتيك بكأس من الشراب .

وارتدت الروب المنزلي ، وغادرت الحمام ، ودخلت عليه المخدع . وحين وقع بصرها عليه ، لاحظت ان وجهه كان شاحباً ، جامد الملامح .

وهرعت اليه ولمست وجنته وهي تغمغم :

– انك مريض حقاً !. نعم .. انت مريض دون شك .. اني لن أسمح لك بالانصراف الليلة ، بل سأستبقيك هنا وأسهر على تمريضك . إسمع بروس .. يجب ان تبادر الى الزواج حتى بفتاة حمقاء ، لأنها على أية حال خير من خادمك العجوز الذي لا يعرف كيف يرعاك وأنت مريض .. إنه يجهل حتى أبسط ..

وكان بروس ينظر من فوق كتفها إلى ما وراءها .

واستدارت نورا ونظرت .. كان رالف هو القادم الذي دخل الغرفة .

لم يتكلم رالف ، لم تكن به حاجة للكلام .

لا يمكن ان يكون الاثنان مريضين في وقت واحد .. بهذا حدثت نورا نفسها . الاثنان معاً ؟. في وقت واحد ؟. هذا مستحيل !. لا بد ان شيئاً قد حدث لا شك انهما تلقيا أنباء سيئة ، وجاءا الآن ليفضيا إلي بها .. أهو البنك ؟.

كلا .. بل انه روبي . نعم انه روبي .. اني أعرف ذلك .. قلبي يحدثني بهذا .

وغاص قلبها ، وشعرت ببرودة قارصة تسري في بدنها .. وترامت متهالكة فوق مقعد أمام المدفأة

وهمست ، كان صوتها مختنقاً حبيساً .

– تكلموا ، لا تضيعوا الوقت ، هاتوا ما لديكم . هل فر هارباً وغادر البلاد ! انه لا يمكن ان يكون مات !

– مات ؟ ما الذي جعل هذا الخاطر يدور بذهنك ؟

كان رالف هو الذي تكلم وكانت سحنته فزعة

وتكلم بروس قال ·

عندما تغديت مع روبي هل تكلم معك عنا وعن البنك ؟

- كلا ، لكنه كان يبدو حزيناً تعساً ، استمر يا بروس .

وعندئذ بدأ يحدثها ويفضي اليها بما لديه ، في حين كان رالف واقفا عند النافذة ، مولياً ظهره للغرفة .

أخبرها بأن أكثر من مائتي الف دولار قد اختلست من البنك خلال عامين ، وان الاختلاس دبر بطريقة غاية في الحذق والدهاء بحيث لم يكتشف الأمر إلا بالأمس .

ولم يكن هناك شك في ان روبي هو المختلس ، وإن مجلس الادارة مقتنع بذلك تمام الاقتناع .

وقد طلب بروس ورالف من مجلس الادارة مهلة بضعة أيام ، وكانا ينويان أن يتحدثا الى روبي في الأمر ، وهذا ما جاء بهما معاً اليوم الى البيت ، ولكن روبي لم يعد بعد الغداء ، وهذا ما قيد تحركهما وبعث فيهما شيئاً من الخوف .

قال بروس :

– وقد بحثنا عنه في الأماكن التي تعود التردد عليها ، فلم نجد له أثراً ، وهذا ما حدا بي إلى القدوم اليوم إلى البيت ، لأني كنت واثقاً انه سيحضر هنا على الأقل كي يراك .

ثم أردف :

لا أظنه فر هارباً .

فقالت أمه :

ـ لا أظن .

ـ يبدو انه بدأ يختلس منذ ألحقناه بخدمة البنك ، إننا على أية حال سنهيء له كل فرصة ممكنة .

فقالت الأم باصرار :

ـ ابني ليس لصاً .

ـ وهذا ما أتمناه أنا أيضاً . ومع ذلك فستنكشف الحقيقة بسرعة يا لورا ، انه سيخبرنا بما حدث فليس من عادته ان يكذب .

ـ انه ليس لصاً ، انه لا يعرف حتى كيف يختلس هيا اذهبا وابحثا عنه في كل مكان ، لا داعي لبقائكما هنا لحظة واحدة .

وقال بروس انه جاء بقطار الثالثـة ، وفتح الباب بالمفتاح الذي لا زال يحتفظ به منذ أيام أخيه ، وصعد إلى مخدع روبي فوجده خالياً فخرج يتمشى قليلاً ثم رجع الى البيت .

وقال رالف انه جاء بالقطار التالي ، ولم يجد روبي في غرفته فاختلى بنفسه ليفكر ويتدبر الأمر

وقالت :

ـ استدعوا إيما .

ودق أحدهما الجرس ، فجاءت ايما وفي يدها قائمة الطعام ، وهمت بأن تقرأها بصوت عال :

ـ المشهيات أولا .. وفي مقدمتها .. »

لكنها قوطعت بلهجة صارمة .

فسألتها ربة البيت :

ـ هل رأيت روبي ؟

ـ لقد أخبرتك اني لم أقابل أحداً بعد عودتي من السوق ، لكني اظن

انه كان في البيت ، فقد اخبرتني هاتي انها سمعت دقات الآلة الكاتبة في الغرفة المسحورة .

فقال بروس بدهشة :

— الغرفة المسحورة ؟

— نعم الغرفة المسحورة ، فهو يحتفظ بآلته الكاتبة هناك .

— سأبحث عنه هناك وسأعود بعد لحظات .. يمكنك ان تنصرفي يا ايما ، هذا هو كل شيء

وقالت :

— ليس هذا كل شيء . إن من حقي ان أعرف ما يجري هنا ، إني أرى سحنتكم مقلوبة فماذا يجري ؟

فوقفوا جميعاً أمام باب الغرفة المسحورة ، يرقبون رالف وهو يدير مقبض الباب .

كان الباب موصداً .

فقال رالف :

— لا ريب انه أخذ المفتاح معه .

كان صوته مختنقاً مبحوحاً كمن يكتم صرخة المحشرت بحلقه .

وصرخت :

— إفتحوا الباب . حطموا القفل .. إفتحوا الباب .

جرى بروس الى الطابق الأرضي ، وعاد بعد لحظات حسبوها دهراً ، وفي يده صندوق أدوات النجارة .

ودق جرس الباب الخارجي ، وتردد رنينه عالياً ، وسمعت نفسها تصرخ عالياً :

— سأدفع المطلوب . سأدفع المبلغ المطلوب .. اني أعلم انه لم يأخذ شيئاً ، لكنني سأدفع ، سأدفع .

وهتف بروس :

– أرجوك ان تكفي عن هذا ، فلينزل احدكم وليصرف هذه المرأة ، مستر بيري ، لقد رأيتها واقفة خلف الباب الزجاجي

فأخذوا يعالجون الباب بأدوات النجارة .. وجعلوا ينادون باسمه .. ويتوسلون .

ومضت الأم تنادي ابنها .. كانت تناديه بقلبها .. كان اسمه مرتسماً على شفتيها .. حرفاً بجانب حرف .

لكن لم يكن هناك صوت يتسرب من بينها، كان وجهها متضرجاً احمراراً كأنما يوشك ان يتفجر دماء .

هكذا طافت الخواطر في رأسها وتدفقت ..

والآن وقد انثالت عليها الذكريات ، بدأت عضلاتها وأعصابها تستجيب.. انها الآن تستطيع ان تزم شفتيها ، وحتى الأمس مـا كانت تستطيع ان تفعل هذا .

بالله عليك لا داعي للاستغراق في الأحلام . لا داعي للاستسلام للأمل فقد يكون الأمل كاذباً ، عندما يحين الوقت المناسب ستعرفين الحقيقـــة من تلقاء نفسك .. ركزي على الحقائق وحدها ، ودعك من الأماني والأحلام .. الحقائق المادية الفراش .. المصباح .. إبريق اللبن . إناء الماء ، وإياك أن تتناولي الأدوية إلا بعد ان تعدي الحبوب حتى لا يضيف أحد الى الزجاجة حبة محشوة بالسم

تذكري هذا دائماً ، ولا تتناولي حبة الا من يد مس ميلز دون سواها ، إن استطعت الكلام ، فما عسى تكون أول كلمة تنطقين بها؟ واذا تهيأ لك ان تمشي فإلى أي جهة تتجهين بأول خطوة تخطينها .

نعم ! فكري في الحقائق المادية دون غيرها ، هذه الغرفة حقيقة مادية ، فلها جدران وسقف وأرضية .

ومن الحقائق المادية أيضاً ابريق اللبن وزجاجة الماء ، وحاجز البرافان المزخرف بطيور قطير في سماء تشوبها الغيوم ، وشجيرات ذات زهور حمراء ، وهناك طير أسود يرقد في عشه في أسفـــل الحاجز . لكن اين الطير الصغير الذي في العش ؟ لا بد ان يكون في أسفل البرافان بالقرب من الأرضية .. هيا ابحثي عنه.

ما هذا ؟ تحت الحاجز المزخرف كانت مستقرة على الأرض يد مكسوة بالقفاز .. تحت اطار الحاجز كانت هناك يـــد صفراء غليظة ، أصابعها بعيدة عن بعضها ، ورأت يداً أخرى تبرز من وراء الحاجز وتزحف على الأرض ، وتستقر بجانب اليد الأولى وتحركت اليدان يميناً ، ثم ارتدتا راجعتين ناحية الشمال .

وتحركت شفتاها قليلاً ، وانفرجتا دهشة .

وزحفت اليدان الى نهاية إطار الحاجز ، وتوقفتا هناك .

وفجأة ظهرت يد ثالثة فوقهما ، وتحركت اليد الثالثة الى أعلى فوق الإطار ثم ما لبثت ان جاءت يد رابعة .

أربعـة أياد ، كلها صفراء سميكة الأصـابع ، تزحف ، وتتلاقى ، وتتباعـد .

وهناك في البيت المجاور كانت مس سيلز الممرضة قد انتصبت واقفة تزمع الانصراف من بيت امها .

قالت الأم :

— ليت شعري ، ما الذي يحملك تعجلت بالانصراف ؟ ان الساعة لم تبلغ بعد العاشرة والنصف ، وعطلتك حتى منتصف الليل .. لقـــد صنعت هذه الكعكة خصيصـاً لأجلك ، ومع ذلك ، لم تتنـاولي منها إلا قطعـة صغيرة .

— اني حريصة على قوامي يا اماه .

– لكن الجو ممطر الليلة ، فإلى اين تذهبين ؟
وكانت مس سيلز تدرك ما ترمي اليه أمها فردت :
– انك تم فين ان جورج يشكو من ألم في أسنانه :
وهزت الأم رأسها وقالت :
– جورج يتوجع من اسنانه ، ومسز بيري لن تسمح له بالخروج الليلة ، فإلى اين تذهبين اذن ؟. لكن خبريني ، اتنوين حقـاً ، ان تتزوجي هـذا الفتى ؟. او لعلك ترين انني ، بهذا السـؤال ، اتدخل في شؤونـك الشخصيـة ؟
ولاذت ميلي بالصمت ، ولم تنبس ببنت شفة .
وتابعت الأم :
– اسمعي يا ميلي . اياك ان تتزوجي الا اذا استطعت ان تدبري لنفسك مسكناً خاصاً تقيمين فيه . نعم لا تتزوجي الا بعد ان يصبح باستطاعته ان يعولك
ثم اردفت متسائلة :
– اكان هذا هو جورج الذي تحدثت اليه منذ قليل .
– نعم ، لما كان هذا هو جورج .
– انني لم اسمع ما دار بينكما لأنك خفضت صوتك وانت تتحدثيـن اليه . وليت شعري ما الذي يحمل الفتاة تخفي دون امها ما يجري بينها وبين صاحبها .
وضاق صدر ميلي بهذا الحديث فقالت متبرمة :
– انني لم اخفض صوتي وانا اتحدث اليه لسبب بسيط جداً وهو انه كان غائباً عن البيت .
فقالت الأم في تهكم وسخرية :
– وهذا هو المصاب بوجع الأسنان !

واستدارت ميلي متجهة نحو الباب وهي تقول :
– طاب مساؤك يا اماه .

فلم ترد الفتاة على ملاحظة أمها بل قالت :
– سأمر على محل مارج لأعيد الى المكتبة كتاباً استعرته ثم أمضي بعدها إلى طفلتي المريضة العزيزة .
فأغلقت الباب خلفها وتابعت طريقها :
كان المطر لا يزال يتساقط والحشائش القائمة على جانبي الطريق مبتلة نضرة . وأسرعت ميلي الخطى ومظلتها منشورة فوق رأسها اتقاء للمطر ..
وأخيراً ، وصلت إلى متجر مارج .

وتلقتها المرأة الطيبة القلب بقولها :
– يا إلهي ! ما الذي يخرجك في مثل هذا الطقس الرهيب ؟
ودفعت اليها ميلي بالكتاب الذي في يدها وهي تقول :
– شكراً لك .. هاك كتابك ، وبعد أيام ، سوف أستعير كتاباً آخر .

– الحق انك ولوعة بالقراءة ، والرأي عندي أن تشاركي في مكتبة كارينجي المجانية بدلاً من ان تبددي نقودك على استعارة الكتب ، كيف حالك يا عزيزتي ؟
– حال يؤسف لها ، وأمي تعترض على زواجي بجورج قبل أن تستقيم أحواله المالية ، لكنها وعدتني على أية حال بأن تهديني أغلب ما لديها من فضيات فبأي شيء تنصحيني .
إبتسمت المرأة وردت :

– إنها حياتك أنت ومستقبلك وأنت أقدر الناس على ان تكيفي موقفك هل أنت على عجل أم تؤثرين مجالستي قليلاً ؟
– بل سأجلس بعض الوقت ، لأن عطلتي هذه الليلة ، تمتد إلى

منتصف الليل .

فجلست ميلي على أحد المقاعد ومدت رجليها مسترخية .

فقالت مارج :

– والآن هيا حدثيني بما في نفسك يا ميلي ، فأنت تعرفين انني إمرأة كتوم لا أفشي سراً .

قالت ميلي ضاحكة:

– ولكن لا سر لدي لأفضي به .

فردت مارج :

– أما أنا فلدي ما أحدثك به فقد جاءت والدة جورج بيري تشتري بعض المجلات ، وكانت طول الوقت تثرثر بصوت مرتفع ، وتقول أن ابنها جورج هو النور الذي يملأ بيت مسز منسون بالحياة ، فهل هذا صحيح ؟

– كلا بالطبع ، فانها لا تكاد تراه أو تنظر اليه أثناء وجوده في الغرفة .. إن نظرها ثابت في اتجاه واحد ، فهي لا تقدر على أن تحرك رأسها .

وتابعت المرأة تقول :

– ولقد سألتني مسز بيري عنك . فهي تريد معرفة مدى صداقتي بك . وهذا نص سؤالها :

« هل أنت على صداقة متينة ، بهذه الممرضة التي تعمل عند مسز منسون ؟ اني أعتقد ان مسز منسون قد أصبحت شديدة التعلق بها ، وأغلب ظني انها أصبحت الآن تحبها .

فقالت ميلي وهي تهز كتفيها باستخفاف :

– إنها لا تكاد تعرفني . إنني عندها مجرد شبح يتحرك ، في الغرفة .

ومضت مارج في حديثها قائلة :

– هي تعتقد أيضاً ان بروس كوري وسيم جداً ، وقد لمحت انه يميل لمسز منسون حتى قبل ان تتزوج أخاه . وها هوذا الآن يحوم حولها ، وها هوذا يتردد على بيتها كل يوم تقريباً ، متذرعــاً بمرضها . نعم هذا ما قالتــه بالحرف الواحد ، ألا لعنة الله عليها وعلى حكاياتها الغرامية . لكن خبريني . هل حالة مسز منسون ميئوس منها ؟ هل ستموت ؟

فقالت ميلي :

– هذا علمه عند الله ، ولكنني أبذل في رعايتها أقصى جهدي . إنني ممرضة أجيد مهنتي ، وهذا ما يعتقده الدكتور بابوك . اني احب مسز منسون واتمنى ان تشفى عاجلاً ، وأحاول دائماً ان أرفع روحها المعنوية . ومنذ أيام عقصت لها شعرها وجملت وجهها ، واردت تزيينها بجواهرها وحليها ولكني قرأت بميليها انها تنفر من التحلي بها .

فأخبرتني ايما ان السبب في نفورها هو انها كانت تنوي ان تتحلى بها في اليوم الذي مات فيه روبي .

– ولكن ، هل ايما لطيفــة معك ، أم ان وجودك في البيت يزعجها .

– انها إمرأة طيبة القلب .

وبعد صمت قصير عادت مارج الى قرثرتها وقالت :

– زارتني إحدى السيدات بالأمس واستفسرت عنك

– حقاً ! من تكون هذه السيدة يا ترى؟

– لا ادري ، لأني لا أذكر اني رأيتها من قبل كما انها ليست من زبائني ، وإن كان وجهها ليس غريباً عني لكنها على اية حال لا تعرف اسمك كل ما هنالك انها ارادت ان تعرف إن كانت لى معرفة بهذه الممرضة التي ترعى مسز منسون .

فقالت مس سيلز :

– لعلها من معارف الأسرة ، ولا تريد ان تتوجه الى البيت للاستفسار عن صحة المريضة لما يثيره ذلك في النفس من أحاسيس محزنة .

فهزت مارج رأسها نفياً فقالت :

– أظنها كانت مهتمة بك انت شخصياً .

– هذا عجيب ، اني لا اكاد اعرف احداً غير اهل هذه البلدة . ولكن ما الذي ذكرته عني ؟

لا شيء تقريباً . فقد سألت في البدء عن مسز منسون وهل صحتها في تقدم وكثيرين من عملائي يوجهون لي نفس هذا السؤال ، لأنهم يرونك تترددين على محلي . وبعد ذلك ارادت معرفة عنوانك مني ، فقد سألتني :

« هل تقيم هذه الآنسة في لارشفيل ام انهم جاءوا بها من نيويورك » .

وقد اجبت بأنك من اهل لارشفيل ، ثم سألتها في لطف عن السبب في اهتمامها بك فابتسمت ابتسامة عريضة وقالت انها تعتقد انك كنت تمرضين ابنة عمها في إحدى مستشفيات نيويورك . ولكن هذه الحجة كاذبة ، كما هو واضح .

– لكن ما اسم ابنة عمها ؟ ألم تسألي ؟

– سألتها طبعاً ، لكنها تهربت وتملصت . أتدرين ما أظنه ؟ اني اظن ان هذه السيدة من الثرثارات اللائي يغشين المجالس ، ويروين مختلف الحكايات ولعلها ارادت ان تتصدر مجلساً تروي فيه حكاية عن مرض مسز ملسون ولا بد من تدعيمها بذكر اسم الممرضة التي تقوم على رعايتها .

– ربما كنت على حق في هذا .

وتابعت مارج تقول :

– مع ذلك فثمة فكرة اخرى طرأت ببالي . لعل لهذه السيـــدة علاقة عائلية بأسرة مستر كورى ، فقد بلغني انهم ما زالوا ناقمين عـــلى زواج مسز

مندسون بمستر كوري ، وهم يزعمون انها انما تزوجته طمعاً بماله .

وما يدرينا ان هذه السيدة كانت صديقة لمستر كوري الذي تزوج نورا ثم اصبحت الآن صديقة لمستر بروس كوري ، فهم يقولون انه شديد الشبه بأخيه .

فردت ميلي معقبة :

– هذا التعليل جائز ايضاً

وفرغت مس سيلز من شرب القهوة وقد اشرفت الساعة على الثانية عشرة إلا عشر دقائق ، وأغلقت مارج باب المتجر وانصرفت المرأتان معاً وكان المطر لا يزال متدفقاً .

وعند منعطف الطريق تصافحت المرأتان واتجهت احداهما الى بيتها ، والأخرى الى بيت المريضة المشلولة .

فتحت ميلي الباب ، واخذت ترتقي الدرج صاعدة الى الطابق العلوي ، كانت ابواب جميع الغرف مغلقة ، فيما عدا مخدع مسز مندسون الذي كان بابه مفتوحاً .

كان هناك شعاع من الضوء ينبعث من مدخل الغرفة فيسقط على ارضية الردهة المعتمة كأنه طريق مرصوف بحجارة بيضاء وسط غابة مظلمة سوداء ودخلت الى الحمام تنظف اسنانها ، ثم علقت المعطف والمظلة ، وصعدت الى الطابق الأعلى .

ومشت الى الفراش تنظر الى مريضتها ، كانت مسز مندسون مستيقظة ، وكان وجهها شاحباً وعيناها تتألقان .

وفي رقة غمغمت ميلي تقول :

– هيه ا لم ظللت مستيقظة حتى الآن ؟

وذكرت ان الباب المفضي الى الردهة لا يزال مفتوحاً ، فارتدت راجعة واغلقته .

وقالت في نفسها :

ـ الآن سيدور بيني وبينك حديث طويل ؛ لكنه حديث من جانب واحـد .

وعادت الى مريضتها لتقول :

ـ هيه !. انك الليـلة لست على ما يرام ؛ فيم ساءت حالتـك ، يا حبيبتي ؟

اعني يا مسز ملسون ؟

وتلاقت العيون الأربع . عيونها وعيون مسز ملسون .

فقالت ميلي :

ـ لحظة واحدة . كل شيء في اوانه . انك تريدين شيئاً وسأحاول ان اخمن ؛ وارجو ان اعرف ما الذي تريدين . لكن قبـــل هذا يجب ان اقيس نبضك .

ودست يدها تحت السجادة وسحبت يد المريضة وامسكت بمعصمها تقيس نبضها ، كانت يدها باردة وكان النبض سريعاً .

وهمست ميلي :

ـ انك خائفة . خائفـة من شيء ما . لكن ما الذي اخافـك ؟ فهمت . كنت خائفة لأني تأخرت . لكن هأنذا قد عدت . فلا داعي للخوف . انك مضطربة قلقة بشأن شيء ما . لكن يجب الان ان تهدأي .

فجلست ميلي على حافة الفراش ؛ واخذت تتحدث الى مسز ملسون في رقة ونعومة .

ـ اراهن على انني اعرف ما حدث . لا شك انك حلمت حلماً مزعجاً اثار خوفك وانزعاجك . لكن لا داعي للخوف فقد انتهى الحلم الان . ولن يعاودك مرة اخرى .

ونظرت في عيني المريضة تستشف منهما بادرة تفهم منها الحقيقة .

لكن كان في عينيها شيء آخر . اذن استنتاجي خطأ ؟ كانت العينان ناطقتين بوضوح . اذن ما الذي حدث ؟

وفركت يد مسز منسون في رقة لتبعث فيها الدفء كانت اليدان باردتين كالثلج ، ولكن الجبين كان ينضح عرقاً يجب ان أعرف السر . يجب ان أعرف ما أفزعها .

ترى هل رأت في الغرفة شيئاً أفزعها ؟ ولكن ليس في الغرفة ما يفزع أو يخيف إذن فهل سمعت شيئاً ؟

– إسمعي يا حبيبتي ، الآن سأوقظ ايما ، واجعلها تذهب لخدعها ، وربما استطاعت ايما ان تفهم ما تطلبين .

وتحولت إلى ايما وأيقظتها .

فقالت هذه .

– هيه ! هل حان موعد نوبتك ؟

فقالت ميلي ضاحكة :

– انك كنت غارقة في النوم ، حتى ظننت انك تناولت حبة منومة .

فردت :

– كان السكون شاملاً ، فاستغرقنا ، نحن الاثنتين ، في نوم عميق هادىء

وقالت ميلي لنفسها :

– انك لا تدرين ، ان مسز منسون ، لم تذق للنوم طعماً ، وهي خائفة

فأخذت بذراع ايما ، وانتحت بها ركناً من الغرفة فسألتها .

– من الذي جاء الليلة إلى الغرفة ؟

لا أحد .. لا أحد على الاطلاق . هل تحسبينني بلهاء ؟ اني لا يمكن ان أسمح لأحد بالدخول عليهـا ، الذين زاروها اليوم هم . مستر ملسون ، ومستر كوري ، وقد بقيا في الغرفة دقيقة واحدة ، وذلك قبل أن يجيء المدلك .

فسألتها :

– هل قال المدلك شيئاً حين كان هنا ؟ هل تحدث عن حالتها ؟

– كلا ، إنه لم ينطق بكلمة واحدة ، وأنت تعرفـين انه صموت لا يتحدث أبداً .. ولكن لم تلحين بهذه الأسئلة ؟. هـل حدث شيء في أثناء نوبتي ؟

– إن مسز ملسون خائفة ، وأريد معرفة السبب فقد ظننت في البداية انها حلمت حلماً مزعجاً ، لكنني أعلم الآن انني مخطئة في هذا الظن .. انني أظنها سمعت شيئاً مزعجاً ، او هي بدأت ثانية تستعيد بعض الذكريات المزعجة . لكن ما الذي قاله برايتان بالضبط ؟

– لا شيء ، لا شيء عنها . كان حديثه كله يدور حول الجو وقال ان حياة الريف أجمل من الحياة في نيويورك هذا كل شيء .

– ألم يذكر أشخاصاً معينين ؟ ألم يردد في حديثه بعض الأسماء ؟

– كلا يا مس سيلز . كان الذي دار بيننا هو الحديث العادي المألوف الذي اعتدنا ان نطرقه . وإذا كانت قد خافت فقد حدث هذا بعد انصرافـه . إني واثقة من ذلك بعد التدليك غسلت لها وجهها ويديها ، وكانت هادئة الأعصاب ، وكان النعاس بادياً عليها ، لذلك خطر لي انها لن تكون الليلة بحاجة الى حبة منومة .

فقالت مس سيلز :

– حسناً ، يمكنك الآن ان تنصرفي يا ايما .

ومضت ايما إلى فراش مسز مانسون فألقت اليها بالتحية ، واستدارت

منصرفة .

ذهبت ميلي إلى الفراش ، وتأملت مريضتها . كان الوجه لا يزال شاحباً والعينان زائغتين .

لا شك اني مجنونة . بهذا حدثت ميلي نفسها.. ما هذه الخواطر التي تدور في نفسي . إني أشعر كأن عيناً مجهولة تراقبني . هل ركبتني الأوهـــام إلى هذا الحد ؟ الغرفـة مغلقة ، وليس فيها أحد ســوى مريضتي ، فأين هذه العين الخفية التي ترقبني وتحصي علي حركاتي وسكنـاتي ؟ أهو ملاك الموت الذي يرقبني ؟

ودارت ببصرها في كل ركن من أركان الغرفة ، حادة العين ، مرهفة السمع ، لكن الذي رأته هو الأثاث الفاخر ، وكان الذي سمعته هـــو السكون المطبق .

ومالت فوق الفراش مبتسمة .

نعم . ليس من قواعد التمريض ان يحس المريض ان ممرضته مضطربة الأعصاب .

وقالت تخاطب مريضتها :

– قد حان موعد الحبة المنومة

وتناولت من فوق المنضدة زجاجة الدواء وإبريق اللبن .

واستطردت :

– سأحضر كوب الحمام لأتناول معك قليلاً من اللبن .

ومضت إلى الحمام المتصل بالمخدع وعادت بعد لحظات تحمل كوبا فارغاً كانت تعرف ان مسز منسون ترقبها وهي ترفع غطاء الابريق وتملأ القدح وأعادت الإبريق إلى موضعه من المنضدة ثم تناولت من الزجاجة حبة واحدة منومـة فوضعتها في راحة يدها .

كانت تفعل هذا وهي تتحدث طول الوقت .

– إذا كان الجو صافيا غداً والشمس مشرقة ، فسوف أجلسك في الشرفة غداً هو الأحد ، وأنت تعرفين ذلك دون شك وسيلزم جورج البيت ولن يخرج طول النهار ، والان هيا تناولي حبتك المنومة . لا . لا . إفتحي فمك أكثر من هذا .

لكن مسز منسون أبت ان تفتح فمها . لم يكن الأمر منها مجرد تردد او رفض ، بل كان تمرداً واضحاً .

لقد زمت شفتيها في عناد ، وطبقت عيناها شرراً ، وبدت عروق عنقها نافرة متصلبة .

وحملقت فيها ميلي في دهشة . ما الذي جعلها تتمرد الليلة ؟ على ان الأمر المهم ليس هـو العصيان ، وإنما المهم ، هـو الامارات الجديـدة التي بدت اليوم .

قالت تكلم المريضة :

– انك تتحسنين . ان صحتك في تقدم . منذ اسبوع كنت عاجزة عن زم شفتيك. كانت عروق رقبتك لا تنفر. انك في تقدم مدهش ، هل تسمعينني نعم ان صحتك أحسن كثيراً .

لم تبتسم مسز منسون ، وكانت الابتسامة هي التغيير الذي تتمناه ميلي . إذا ابتسمت المريضة فمعنى هـذا انها استجابت للعلاج ، وإن حدة الشلـل بدأت تخف .

– أرجوك ؛ يا مسز منسـون .. أرجـوك ان تبتسمي ؛ ولو مرة واحدة .

لكن الألم كان واضحاً في عيني المريضة .

كانت تتعذب . قد حاولت ان تبتسم ؛ لكن كان جلياً انه استحال عليها ان تبتسم .

قالت ميلي في رقة :

- دعك من الابتسام يا طفلتي لا داعي لأن تبتسمي .

ونظرت ميلي الى الحبة المنومة المستقرة على راحة يدها .

ما عساي الان فاعلة . اني لا أستطيع ان أرغمها على تناول الحبة .. لكن يجب ان أفهمها انني أحبها ، وان ما أطالبه منها هو الشيء السليم الذي ينبغي أن يحدث . إن ما أطالبها به انما هو لصالحها وقبل كل شيء علي معرفة ما الذي يفزعها ؟ ما الذي يخيفها ؟

وقالت تحدث المريضة :

- مسز منسون . فلندع الحبة المنومة الان ؛ لكن أرجوك ان تتناولي قدح اللبن . اني أعرف انك تكرهين الحبة المنومة ؛ رغم انها تفيدك كثيراً لكن أرجوك أن تشربي اللبن هذه هي مهنتي يا مسز منسون ، أن أرعاك وأجعلك تتناولين الدواء والطعام ، وإذا أنا عجزت عن ذلك فسيطردني الدكتور بابوك ، ولن يستعين بي أبداً وأنا في حاجة الى هذا العمل لكي أعيش . ثم انهم سيطردونني ويأتون بممرضة أخرى بدلاً مني ، مع اني أحبك ولا أريد ان أفارقك أبداً . أتوسل اليك يا مسز منسون ان تشربي اللبن . إكراما لخاطري .

وامتلأت عينا مسز منسون بالعبرات ، وتجمعت تحت أهدابها الطويلة .

ونحت ميلي اللبن ، فوضعت القدح على المنضدة ، وأعادت الحبة المنومة الى الزجاجة .

وقالت في لهجة بائسة تفيض أسى :

- إني أريد ان أساعدك ، لكني أراني عاجزة لا حولي . اريد معرفة ما تفكرين فيه ، لكن كيف السبيل ، ألا يمكنك أن تعطيني إشارة من أي نوع ؟. ألا يمكنك ان تنظري إلى أي شيء في الغرفة ، فأسترشد بذلك إلى ما تبغين ؟

وتألقت عينا المريضة أملاً ورجاء ، كانت نظرة جلية ناطقة لا يمكن ان يخطئها الفهم .

وهتفت ميلي في لهجة سعيدة ناطقة بالابتهاج :

– آه ! لقد بدأت الآن أفهم . أعتقد انني فهمت انك تريدين أن تقولي أن في هذه الغرفة شيئاً يخيفك هنا شيء يخيفك ولكنني لا أعرف ما هو ؟

وتلاقت العيون الأربع من جديد ، كأنما هي أربع من الأيادي تتصافح وتتماسك . ومشت العيون الأربع معاً ، متجهة إلى المنضدة . لكن لم يكن على المنضدة شيء إلا إبريق اللبن والقدح المملوء باللبن وزجاجة الحبوب المنومة . كما كان هناك منديلان مطبقان ، الأشياء نفسها التي ترى على المنضدة كل ليلة .

لا يمكن ان تكون المناديل هي الشيء الذي يخيفها ، فهي مناديلها دون شك والحروف الأولى من اسمها مطرزة عليها داخل دائرة من الزهور ، ومع ذلك هل المنديل يمكن أن يثير الخوف ؟ فتناولت ميلي المنديلين ، وفردتهما ثم طوتهما .

إنهما فارغان لا شيء داخل طياتهما . إذن فليس المنديلان هما مثار خوف المريضة .

وبدأت من جديد تتابع نظرات مسز منسون الى حيث تقودها ، على شيء تستقر هذه النظرات الغامضة ؟

آه ! على الحبوب المنومة ؟.

– لكن ما يعني هذا يا مسز منسون ؟ هل انت خائفة من الحبوب ؟ انك تتناولينها كل ليلة ، فما الذي يخيفك منها . هي نفس الحبوب التي اعتدت عليها اننا لم نغيرها ولم يكتب لك الدكتور باتوك دواء جديداً .

وأمسكت بالزجاجة وهزتها أمام عينيها :

ـ أنظري . هي نفس الحبوب ونفس الصيدلية، وفي الزجاجة أربع حبات لأربع ليال أخرى .

وتغيرت النظرة المنبعثة من عيني المريضة بدت قلقة منزعجة ، بل بدت تفيض رعباً وفزعاً . كانت نظرتها أشبه بالكلام المنطوق

كانت نظرتها تحذر وتنبه وتتوسل كانت نظرة تصرخ .

فهمت . إذن فأنت خائفة من الدواء ؟ لكن لم تخافين ؟ ما سر هذا الخوف الفجائي الذي افترسك ؟

حسناً . سأتأكد من الأمر .

فتناولت ميلي حقيبة يدها ، ودست فيها زجاجة الحبوب في حقيبتي . فقد أبعدتها عنك وسأرميها في القمامة وغداً سأخطر الدكتور بابوك انك تكرهين هذه الحبوب كما يكره الانسان السم .

السم ؟ فقد ترددت هذه الكلمة اليوم عندما كانوا مجتمعين في غرفتها قبل العشاء ويتناولون كأساً من الشراب كان بروس هو الذي نطق بها ، حين قال لرالف :

« هل أنت ذواق السموم ؟ »

إذن فهذه الكلمة هي التي أثارت انزعاج المريضة ، وجعلتها تفزع من الحبوب المنومة .

لقد صور لها ان الحبوب قد استبدلت ، وان ما في الزجاجة حتى الآن حبوب مسمومة .

نعم . هذا هو التفسير الوحيد .

قالت ميلي:

ـ لا تخافي يا مسز ملسون .. ان هذه الحبوب سليمـــة ، فهل أنت بخير الآن ؟

لكن لا .. ان مسز ملسون ليست بخير .. فهي لا زالت تنظر الى المنضدة

ونظرة الخوف لا زالت تنبعث من عينيها

كانت شفتاها جافتين متصلبتين ، وكانت تجاهد كي تنطق ، كي ترسم عليها كلمة .

لكن عينيها كانتا ناطقتين . كانت تريد ان تقول شيئاً .. شيئـــاً خطيراً . شيئاً رهيباً .

وفجأة أحست ميلي انها انهزمت .

إن مسز ملسون مصابة بالهستيريا، نعم . هستيريا ، وهذا شيء لا تستطيع ان تواجهه وحدها .

يجب ان تستعين بمستر ملسون ، أو مستر كوري ، يجب ان تلجأ اليهما وتستنجد بهما .

ونظرت الى باب الغرفـــة .. ثم إلى الباب الزجـــاجي ، المفضي الى الشرفة .

إن وراء هذا الباب الزجاجي ، على قيد عشرات الأمتار ، يرقـــد جورج بيري في فراشه يغط في النوم آمناً مستريحاً .

واتجهت الى الحاجز (البرافان) ودارت حوله غافلة من النظرات النزعة التي تتابعها في رعب .

كان الطقس في الخارج في الشرفة شديد البرودة ، وكان الهواء ندياً تخالطه آثار المطر .

ومشت متجهة الى غرفة مستر ملسون المتصلة بالشرفة لكنها الفتها بدورها مطفأة الأنوار .

قالت في نفسها .

- لا شك ان مسز ملسون كانت بخير عندما القوا عليها تحيـــة المساء وانصرفوا الى مخادعهم ، والا لما تركوها . فهم كانوا أحرياء بأن ينتظروا عودتها أو يستدعوا الدكتور بابوك .

لكن لم تستدعي الطبيب . فهو أقدر الناس على معرفة حقيقة ما تعانيه مسز ملسون ، كما انه بصوته المؤثر أقدر الناس على ان يبعث الاطمئنان في قلبها .

واستدارت راجعة ، وهبطت الى الطابق الأرضي ؛ وهي تتحسس طريقها في الظلام ، اذ لم تشأ ان تضيء الأنوار حتى لا تزعج أهل البيت وتوقظهم من نومهم .

وفي نهاية البهو اخذت تتحسس الجدار باحثة عن باب المطبخ حتى استقرت يدها فوقه .

فتحت الباب ودخلت .

ثم أضاءت النور بعد ان أغلقت الباب .

إتجهت إلى جهاز التليفون ؛ وكانت مديرة بيت الدكتور بابوك هي التي ردت عليها .

سألتها دون ذكر اسمها :

- هل الدكتور بابوك موجود من فضلك ؟

- كلا . انه غير موجود .

وغاص قلبها .

فقد كانت في مسيس الحاجة اليه .

- أتعرفين أين هو الآن فإن الأمر هام جداً .

- كلا بكل أسف .. إنني لا أعرف مكانه .. فقد تلقى دعوة بالحضور في الساعة العاشرة ؛ ولم يعد حتى الآن ؛ أتحبين أن تتركي له رسالة ؟

- كلا !.. كلا !.. شكراً .. ألم يقل ان كان سيعود مبكراً ؟.

- أعتقد انه سيتأخر قليلا ، وأغلب ظني ، انه دعي الى حالة

ولادة .

حسناً .. أرجوك ان تخبريه أن .. على أية حال ، شكراً لك ..

سأتصل به مرة أخرى .

وردت السماعة مكانها ..

لم تشأ أن تخطرها باسمها ، فقد خشيت ، اذا رجع الدكتور بابوك من مهمته ان يتصل بها تليفونياً ، فيزعج رنين الجرس أهل البيت ، ويخرجهم من ثباتهم .

عندئذ سوف ينحي عليها باللوم مستر ملسون ومستر كوري ، وسيلومونها على اتصالها بالطبيب دون استشارتهما .

كانت مسز ملسون ، ترقب باب الغرفة ، منتظرة عودة مس سيلز ..

فقد افترضت أنها هبطت الى المطبخ تأتي بقدح من الماء المثلج ، لكنها تأخرت أكثر مما ينبغي .

فأين ذهبت ؟

لعلها رأت أن تمد لنفسها قدحاً من السكاكاو ، ولذلك تأخرت في المطبخ ..

ان من عادة مس سيلز ان تفعل هذا في بعض الليالي .

وتمنت مسز ملسون لو انها أعدت السكاكاو ، لأنها في هذه الحالة لن تكون ظمآنة ولن تكون بحاجة لاحتساء قدح اللبن ..

ان من عادة مس سيلز في بعض الأحيان أن تشرب اللبن الذي يتبقى في الابريق ..

وجميع أهل البيت يعرفون عنها هذه العادة .

ولكن .. مسز ملسون ، تتمنى أن لا تقرب مس سيلز ، من

اللبن الليلة .

نعم .. لكم أتمنى ألا تمس شيئاً من اللبن .

حين رأت الأيدي ذات القفاز تبرز من تحت إطار الحاجز حاولت أن تصرخ ..

وقد صرخت فعلا ، لكن في أعماق النوم .

صرخت في طواياها ، حين كانت ايما غارقة في النوم ، أمام نيران المدفأة .

لقد مضت ترقب الأيدي وهي تزحف على الأرض ، يميناً ويساراً .. الأيدي الصفراء ذات القفاز .

نعم ، أخذت الأيدي تتحرك هنا وهناك ، وترتفع وتنخفض ، ثم ما لبثت ان اختفت .

كاد الرعب يقتلني !

كانت الساعة الموضوعة فوق رف المدفأة ترسل دقاتها المتتابعة ، ومضت الدقائق تلو الدقائق ونظرها مستقر على الحاجز .

ثم فتح باب الغرفة في هدوء ، وفي عذاب ومعاناة أدارت عينيها ، وكان الأمل يعصف بها .

من القادم !

ونادت في أعماق قلبها :

– ايما ! أتوسل اليك أن تسمعيني ! أتوسل اليك ان تستيقظي !

لكن ايما ظلت غارقة في نومها .

وظلت والفزع يفترسها ترقب الخطوات التي تخطو فوق السجادة في رفق وحذر .. كما كانت ترقب تناول حبتين (كبسولتين) من الزجاجة وإفراغ محتوياتهما في إبريق اللبن ، ثم ملأ الكبسولتين بتلك البودرة الموضوعة على رف التواليت وإعادة الحبتين إلى الزجاجة .

كانت ترقب كل هذا ، والشخص المجهول الذي تقوم يداه بالعمل يفعل هذا دون أن يلقى بالاً إلى وجودها ، كأنها غير موجودة أو كأنها قطعة الجماد لا تحس ولا تشعر ولا ترى .

كانت في رأيه أشبه بالأموات . مجرد جثة ، في حين كانت اما مستغرقة النوم ، لا تستجيب إلى الصرخات الداوية ، التي تتردد في أعماق ن ملسون

رجعت ميلي الى الغرفة ، وفي يدها قدح الماء المثلج ، الذي جاءت به المطبخ .

قالت :

ـ انك تعتقدين اني تأخرت كثيراً .. ترى هل ظننت اني فررت هاربة مي السهرة مع أحد الأصدقاء ؟

كلا يا عزيزتي .. انك رفضت أن تشربي اللبن فجئتك من المطبخ بقدح من البارد .

وأدنت ميلي القدح من شفتي المريضة وهي تقول :

ـ هيا اشربي يا حبيبتي .. ماء مثلج لذيذ .. وقد جئت به من الثلاجة .. والآن سنحاول أنا وأنت أن ننام ، ويجب ان ننام ، وسأترك المصباح ير مضاءاً

الليلة لن أنام في فراشي ، وانما سأجلس في المقعد وأنام ، حتى يمكن أن د ، وحتى يمكن أن تريني ..

أوه ! أرجوك ، لا تنظري إلي هكذا ، سبق ان نمت في المقعد عدة مرات كنت لم تشعري بذلك .

وسحبت المقعد الكبير ووضعته في مواجهة الفراش ، ومسز ملسون ـ اليها . وكان المقعد أقرب إلى موضع القدمين ، منه إلى موضع س .

واستقرت ميلي في المقعد الكبير .

على أنها لم تلبث أن نهضت وصبت لنفسها كوباً من اللبن ، وأفرغته في جوفها .

رأتها مسز منسون ، وهي تحتسي كوب الماء ، وتجلى الخوف في نظراتها .

إن ميلي لا تعرف المكيدة ..

أما المريضة فتعرف ..

هي لا تعرف ان اليد الخفية المجهولة امتدت من وراء الحاجز وأفرغت في اللبن محتويات كبسولتين من الحبوب المنومة ، أما أنا ، فأعرف ما حدث .

مسكينة ميلي !

إنها سوف تستغرق في نوم عميق من أثر المنوم ، ولن تدري بشيء مما يدور حول .

بل أنا المسكينة حقاً لا ميلي .

ميلي ستنام الليلة نوماً عميقاً ، ولكنها ، على أية حال ، سوف تصحو في الصباح .

أما أنا – مسز منسون – فسأكون في الصباح جثة هامدة .

نعم ، سأكون جثة هامدة .

لكن ، كيف يمكن ان يحدث هذا ؟

لا أظن أن الخطة وضعت على أساس قتلي الليلة ، فهم لا يعرفون أن ميلي سوف تشرب الليلة اللبن الممزوج بالمنوم ، وهم لا يمكن ان يقتلوني إلا في غياب ايما أو مس سيلز .

إنهم يترقبون فرصة سانحة لكي ينفردوا بي ، حتى يتسنى لهم أن يقتلوني .

والليلة سنحت الفرصة ..

فما دام أن ميلي شربت اللبن فستنام نوما لا تحس معه بما سيفعلون بي ومع ذلك فهم لا يعرفون انها شربت اللبن .

إذن فهم لن يقتلوني الليلة ، كل ما يهدفون اليه هو إخافتي ، وبث الرعب في قلبي .

الأيدي التي تبرز من تحت إطار الحاجز .

اليد التي أفرغت المنوم في إناء اللبن – كل هذا يراد منه إثارة الفزع في نفسي .

أما قتلي فلم يحن أوانه بعد .

ولكن كيف ينوون قتلي؟. مـا هي الطريقـة التي سيتبعـونها في القضاء علي ؟

أعتقد أن الخنق هو أسهل الوسائل .

يد تمتد وتلتف حول عنقي ، وتظل تضغط وتضغط ، حتى تزهق أنفـاسي .

لكنهم لا يستطيعون أن ينفذوا مكيدتهم إلا في غيبة مس سيلز ، لكنها الآن موجودة في الغرفة .

موجودة ؟ اني لأخدع نفسي إن ظننت انها موجودة .

لقد تناولت اللبن ممزوجاً بالمنوم ، وعندما تنام تصبح كأن لا وجود لها في الغرفة .

وعندئذ ينفردون بي و ويخنقوني .

وسيزعمون عند الشرطة انني تقلبت في الفراش ، فوقعت الوسادة فوق وجهي وكتمت أنفاسي .

كانوا جميعاً يترقبون ان أتحرك .. كانوا يترقبون حدوث المعجزة ، وقـد حدثت المعجزة التي يتلهفون اليها .

لكنهم لم يكونوا يتوقعون ان تكون هذه المعجزة هي السبيل للموت ، لا للشفاء .

لكن هل سيصدق البوليس هذا الادعاء ؟

ومس سيلز المستغرقة في النوم – هل سيتهمها البوليس بالاهمال ؟ أو ترى هل ستتهم بالتواطؤ والاشتراك بالجريمة ؟

هل سيقولون أن الدافع لاشتراكها بالجريمة ، هو انها غارقة في الحب مع ..

الفصل الثاني

كانت هاني هي التي صرخت .

وكانت صرخة داوية جلجلت في أرجـــاء البيت الهادىء .. دارت الصرخة بكل ركن من أركان البيت ، ونفذت إلى كل أذن ، وانتزعت ايفا من نومها العميق .

كانت غرفة ايفا ملاصقة لغرفة هـــاني ، لا يفصل بينهما إلا الحمام المشترك .

عرفت ايفا من أين صدرت الصرخة .

لكن السكون الذي ساد البيت بعـــد الصرخة كان مخيفاً ، يهز الأعصاب .

قالت في نفسها :

– إن جميع أهل البيت لا بد ان يكونوا أمواتاً وإلا فما معنى هـــذا السكون الشامل ؟ ليس بالبيت نفس واحد يتردد وليس فيه حركة واحدة تمس الأسماع .

جلست ايفا في الفراش وأضاءت النور وأرهفت السمع لكنها لم تسمع صرخة أخرى .

وحين نظرت الى الساعة وجدتها الثالثة بعد منتصف الليـــل . والقت

بيدها على فمها تكتم الصرخة التي أوشكت أن تنطلق .. كانت تريد أن تصرخ وإن لم تعرف سبباً يدعوها إلى الصراخ .

وعندئذ سمعت أصواتاً أخرى .. أبواب تفتح وأبواب تغلق ووقع أقدام تدق الأرض وأقدام تهرول في كل مكان .. على الدرج وفي المطبخ وفي البهو .

ثم سمعت صوت مستر كوري يدق باب غرفتها ويقول :

– ايا ! نحن نريدك هنا فأرجوك أسرعي .

ففتحت له الباب وقد التفت بردائها المنزلي .

سألته بلهفة :

– ما الذي جرى ؟ مستر ملسون ؟

فرد باقتضاب :

– أرجوك أن تحضري للمكتبة !

ومشت في أعقابه صامتة .. كان قلبها يرجف وكانت خواطرها تشرد إلى الأسوأ .

لكنها لم تشأ أن تسأله ثانية عما جرى .. ما هي إلا دقائق معدودة حتى تعرف كل شيء .

وحين وصلت غرفة المكتبة وجدت هاتي هناك حية تتنفس وكانت جالسة على أحد المقاعد وقد التفت ببطانيتها .

لكن اين الآخرون ؟ مستر كوري ومستر ملسون ومس سيلز ؟ آه . ها هو مستر كوري الان واقف بجوار المدفأة ، وها هو مستر ملسون يتكلم في التليفون .

أما مس سيلز فهي الوحيدة التي تخلفت عن الحضور .

فأحست ايا بغصة تخنق صوتها .

فقالت متلعثمة مترددة :

- أين مس سيلز ؟ هل هي بخير ؟
- هي بخير ، الكل بخير عدا مسز منسون .
- يا إلهي ؟.. هي لم .. لم ..
فلم يطاوعها لسانها على أن تقول :
« انها لم تمت » ..
فقال مستر كوري :
- اننا نحاول ان نتصل بالدكتور بابوك .
- يا إلهي .. إنها لم .. لم ..

ولم يطاوعها لسانها على أن تتصل بالدكتور بابوك فقد أغمي على مسز منسون ، وقد رفضت مس سيلز ان تتحمل المسؤولية وأصرت على استدعاء الطبيب ولا نعرف كيف نتصرف .

ثم استطرد :
- ان هاتي تهذي وتخرف فهل تستطيعين يا ايا ان تتحدثي اليها ؟ هي تردد كلاماً لا يصدقه العقل .
فتحولت الى هاتي ..

كانت هاتي تولول بصوتها الحاد المسرسع وكلماتها تتداخل بعضها ببعض بحيث فاتت الأذن المعنى في بعض الأحيان .

أخذت الكلمات تتدفق من فم هاتي متسارعة متلاحقة .
قالت :
انها كانت تعاني أرقاً شديداً طول الليل وزادت الأرق وطأة أغصان شجرة اللبلاب التي كانت تضرب نافذتها بطرقات متتابعة بسبب شدة الهواء وكلما حاولت النوم أيقظتها خشخشة اللبلاب وزايلت هاتي فراشها وتناولت مقصها من فوق المنضدة وقد استقر رأيها على أن تقص الأغصان الملاصقة لنافذتها .

وتابعت هاتي تقول :

- فتحت النافذة والمقص بيدي وأبرزت منها رأسي لكي اقص الأغصان عندئذ رأيته .. رأيته يهتز يميناً وشمالاً .. هذا الشيء الطويل الأســود المخيف .. كانت الأغصان هناك أمامي في الظلام كأنها ثعبان يزحف ويتحرك .

وصمتت اذ كان منسون قد فرغ من حديثه التليفوني وجاء يقول لهم انه لم يعثر على الدكتور بابوك ولكنه استطاع ان يتصل بالدكتور بليديل وانه سيحضر حالاً .

وعادت هاتي تتم حديثها :

— نعم كانت الأغصان أمامي والمقص في يدي وانا اهم بقطعها عندئذ نزلت الذراع .

ونظر كوري الى منسون ونظر منسون الى كورى .. فتبادلا النظرات بدهشة وكانا شاحبين وكأنهما كانا يبتسمان .

فقال كوري يخاطب منسون :

— لا داعي لأن نستمع مرة اخرى لهذا الهراء .. اولى بك ان تنتظر الدكتور بليديل عند الباب فهو لن يتغيب طويلاً .

وانصرف منسون مسرعاً .

فقالت ايما

- اما انا فلا اريد ان اسمع شيئــاً .. يجب ان اذهب الى منزل منسون لأراها .

فقال كوري :

. كلا .. بل يجب ان تبقي هنا .. يجب ان ننهي هذا الموضوع اولاً . ان نافذة تخدعك على مسافة بضعة اقدام من نافذة هاتي .. ولعــله قد يكون في وسعك ان تقنعيها بأن ما رأته كان مجرد وهم وخيال .

وهتفت هاتي ·

– لن يستطيع أحد ان يقنعني ،، لا اليوم ولا غداً ولا في أي يوم آخر . أكرر عليكم القول بأنني رأيت ذراعاً .. ذراعاً طويلة .. طولها متران تقريباً، وكان يمكن لهذه الذراع أن تطبق على عنقي وتخنقني لولا انني صرخت فأفزعتها فهربت .

فقال كوري في صوت رقيق ، كمن يتحدث إلى شخص مختل العقل ·

– وأين ذهبت هذه الذراع عندما هربت ؟

– لا تسألني !. إنني لا أدري .. فقد اختفت .. أعتقد انها صعدت إلى أعلى .

· إلى اعلى ؟ لكن أين ؟.

– وأنى لي أن أعلم ؟

فاستطردت هاتي

– إذا كانت اليد قد ذهبت لأسفل فلا بد أنها ذهبت لتلحق بجسدها وفي هذه الحالة كان لا بد من رؤية الجسد لكني لم ألمح شيئاً أمامي .. لم يكن هناك أي جسد لم يكن أمامي إلا أغصان اللبلاب وهذه اليد الطويلة متران . نعم . طولها متران . وكانت اليد مكسوة بقفاز أصفر .

– قفاز أصفر ؟ ولكن كيف استطعت يا هاتي ان تميزي اللون بالرغم من الظلام السائد ؟

فردت هاتي باصرار

– نعم .. كان القفاز أصفر اللون يا مستر كوري ولم يكن الظلام سائداً كان هناك قبس من الضوء صادراً من مصباح الشارع ، ولقد شاهدت القفاز كما أشاهدك الآن وكانت اليد تتأرجح يميناً ويساراً كما تبحث عن شيء

تمسك به فلمست اليد وجهي .

وتحسست هاتي وجنتهـا ، وقد خجلت عيناها لهـول الذكرى المرعبة .

ــ نعم لمست اليد وجهي لكنها كانت لمسة خفيفة غير اني شعرت بها ، ويبدو أن اليد لم تكن تعلم اني موجودة .

وتحول كوري إلى ايما قائلا :

ــ ألا يبدو لك الأمر أشبه بالألاعيب التي يمارسها الصغار في عيد « جميع القديسين » ؟

فقالت إيما منكرة هذا التفسير :

ــ وهل يمارس أحد الاعيب العيد في الثالثة بعد نصف الليل ؟ لا بد أنها أكلت شيئاً ثقيلا على معدتها فرأت كابوساً مزعجاً، هيا يا هاتي عودي لفراشك ودعك من هذه السخافات وسأتحدث اليك بالأمر فيا بعد أما الآن فإني صاعدة لأرى ما حل بمس نورا .

ونهضت هاتي واقفة ومضت لمخدعها .

فاستدارت ايما لمستر كوري وسألته :

ــ لكن من الذي صرخ ؟ أكانت هذه صرخة ايما ؟

ــ لا بد أنها كانت صرخة ايما

وتساءلت :

ـ ترى هل سمعت مسز منسون هذه الصرخة ؟ فقد جرت العادة بأن يكون بابها مغلقاً أثناء الليل.

فقال كوري :

ـ كان باب الشرفة مفتوحاً ، ونافذة هاتي واقعة بالجانب الذي فيه الشرفة فأغلب الظن أنها سمعت الصرخة فأغمي عليها .

فقالت ايما وهي غارقة في التفكير ،

هذا غريب فمهدي بمسز ملسون انها قوية الأعصاب لا تهزها المفاجآت، فكيف يغمى عليها بسبب صرخة سمعتها ؟. فهي ليست من الطراز الذي يغمى عليه .

فقال كوري :

– لا تنسي ، انها الآن مريضة ، فلم تعد لأعصابهـا صلابتهـا المعهودة .

– لعلك على حق في هذا .

ثم أردفت :

– وثمة شيء آخر ، فقد كانت الليلة قلقة شديدة الازعاج . وقد عللت مس سيلز الأمر بأنها لا بد ان تكون قد رأت كابوساً .

وحدثته عن عودة مس سيلز عنـــد نصف الليل ، والأسئلة التي وجهتها :

– لقد انهالت علي بالأسئلة كأنني ارتكبت خطأ ، فقـــد سألتني عمن دخل عليها ، وماذا قالوا لها .. إن مسز سيلز تعتقد أن مسز نورا خائفة فزعة .

ومشى كوري إلى النافذة وأطل منها ثم قال :

– إن الضوء لا يزال يشع من غرفة بيري .

ثم أردف :

- لكن الى أي مدى كان رعبهـــا ؟. إن المرأة حين تجد نفسها عاجزة عن الكلام ، وعاجزة عن الحركة .. لكن كيف عرفت مس سيلز انها خائفة ؟

- من الطريقة التي تنظر بها ، إن العينين تنطقان دائماً بما يعتمل في الصدر من احاسيس ، ومن المحتمل فعلاً انها قد رأت كابوساً في نومها ، وحين أفاقت عجزت عن ان تنفض آثاره عن نفسها . ثم صرفتني مس سيلز إلى مخدعي ،

قائلة انهـا تستطيع ، اذا انفردت بها ، ان تعالج الأمر ، وأن تبدد خوفهـا

- أكان ذلك في نصف الليل ؟

- نعم حوالي الثانية عشرة أو بعدها بقليل . لكن ما الذي قالته مس سيلز ؟

فأجاب مستر كوري :

- يبدو ان ما تعرفه مس سيلز عما حصل أقل مما يعرفه أي إنسان آخر في هذا البيت .. انهـا لم تعرف ، أن شيئاً قد وقع إلا بعـد ان أيقظتها .. ولم يكن من الهين أن أوقظها ، فقد كان نومها ثقيلاً جداً .

فسألته ايفا :

- وأنت يا مستر بروس .. هل سمعت صرخة هاتي ؟

- طبعاً ، فقد كان باب غرفتي مفتوحاً ، وصعدت في الحال إلى مخدع مسز منسون .

- كان مفروضاً ان تذهب قبل كل شيء إلى المكان الذي صدرت منه الصرخة .

- لو انك كنت مكاني لفعلت مثلما فعلت . ان مسز منسون هي التي تشغل أذهاننا فأول شيء يخطر بالبال هو ان تبادر إلى الاطمئنان عليها .

فأرهفت ايفا سمعها وقالت :

- لقد فتح أحدهم الباب الخارجي دون ان يدق الجرس ، أيكون هذا هو الطبيب ؟

وفتحت باب المكتبة ، وتناهت اليها أصوات صادرة من البهو وقالت :

- تصور من يكون القادم ؟ جورج بيري ومعه الطبيب ، سأصعد لغرفة مسز منسون فقد يحتاجون شيئاً .

كان جورج مرتدياً معطف المطر فوق بيجامته وحذاؤه في قدمه بغير

جورب فقال يخاطب مستر كوري :

كنت أطل من نافذتي فرأيت الأنوار تضاء في البيت فجئت مسرعاً أستفسر عما حدث . فإذا كنتم تنوون تفتيش البيت والحديقة لأني على استعداد المشاركة .

فسأله كوري برقة :

اتعلم عن اي شيء تتحدث ؟

– طبعاً اعلم .. اني اعرف كل شيء . فإذا اعتقدت ان في وسعك ان تخفي الأمر فأنت مخطيء في هذا . لقد قابلت دكتور بليدل عند عتبة البيت فروى لي كل شيء لكني لم اكن في حاجة لهـــذا فقد رأيت كل شيء بنفسي ولا يدهشني ان يغمى على مسز منسون .

مضت برهة وكوري يتأمل جورج بنظرة فاحصة ثم سأله :

هل لك ان تحدثني عما شاهدت بالضبط ؟

فتضرج وجه جورج احمراراً وأجاب :

– لا أدري ، اني لست من طراز الجـــيران الذين يتطلعون من النوافذ متجسسين على جيرانهم لكن الذي حدث هو ان ..

فمضى يروي لكوري كيف انه اطل من النافذة ليبصق دواء الفرغرة الذي كان يتفرغر به بسبب وجع اسنانه .

فقال :

– طبعاً نظرت لهذا البيت عبر الحديقة ورأيت شيئاً يتحرك، كان يتأرجح يميناً ويساراً تحت الشرفة فظننت في البداية انه كلب ضخم الجثة غير اني مـا لبثت ان ذكرت انه ليس في هذه الناحية كلاب من النوع الضخم فبقيت مكاني احدق النظر لأتبين حقيقة هذا الشيء .

وقال :

— ان الكلب اخذ يزحف مقترباً من البيت ثم ما لبث ان اختفى فجأة . فاستدرت لغرفتي لأتناول سيجارة اشعلتها ثم رجعت للنافذة فرأيت الكلب نائماً على الأريكة الموجودة في الشرفة ، فلا عجب ان يغمى على مسز منسون فقد كان الكلب ضخماً مخيف المنظر فلا بد انها فزعت عندما رأته يتجول في الشرفة وما يدرينا انه تسلل لخدعها فأفزعها

— لكن هل تستطيع شرح كيف استطاع الكلب ان يتسلق من الحديقة إلى الشقة ؟

— بالحقيقة إني لم اره وهو يتسلق صاعداً ، لكني رايته وهو يهبط . فقد هبط في يسر وسهولة كأنه قرد ولعله قرد وليس كلباً .. فقد قفز فوق سياج الشرفة وتخطاه ، وتعلق بشجرة اللبلاب واخذ يزحف نازلاً .. وفي الحقيقة إنني لم اشاهده وهو يستقر على الأرض فقد استدرت الى غرفتي لأنتعل حذائي .

فاستطرد جورج يقول :

— الحق إني لا ادري إن كان كلبا او قرداً .. إني لست موقنا من الأمر .

ثم تساءل :

— كيف حال مس سيلز ؟

— إنها بخير لم يصبها شيء .

— يسرني ان اعرف هذا . لكن لم استدعيتم بليدل بدلاً من بابوك ؟

— لأن بابوك متغيب عن بيته في زيارة احد المرضى .

— لقد اخبرني بليدل ان هاتي صرخت صرخة داوية ، توقظ الأموات .

فتأمله كوري لحظة ثم قال :

— إسمع يا جورج .. ارجوك ان تكتم كل ما سمعت او شاهدت . اننا لا نريد جعل سيرتنا مضغة في الأفواه .

طبعا .. طبعا .. سأكتم كل شيء فقد اخبرني الدكتور بليدل ايضا ان هاتي لحت على الحائط ذراعا طولها متران .

– ان هاتي مخرفة تسيطر عليها الأوهام .

فلم يأبه جورج بكلمات كوري إنما تابع يقول :

اتريد مني ان ابقى لأعاونكم في التفتيش ؟ اننا قد نعثر على آثار مخالب كما انه من المحتمل كون هذا الشيء لصا من متسلقي المواسير فقد نجد آثار اقدامه مطبوعة على ارض الحديقة .. نعم لعله رجل لا كلب وكان ينوي سرقة جواهر مسز مانسون .

فلبث كوري صامتا لا يعقب .

فاستطرد جورج يقول :

– الا ترى انه يحسن بنا ان نفتش الحديقة ، حتى ترتاح ضمائرنا ؟

فعقب كوري بقوله .

– لا داعي لأن نفتش اي شيء فإن ضميري مرتاح تماما .

فقال جورج

– اما انا فضميري غير مرتاح . إن اغصان اللبلاب عند نافذة هاتي متدلية لأسفل ولم تكن هذه حالتها اليوم .

فقال كوري :

إن الدنيا ظلام ومن العسير ان تتبين هذا الاختلاف .

فأطلق جورج ضحكة مرحة وقال :

– ما دامت البطارية معي فلن يكون من الصعب ان ارى اغصان اللبلاب .

وتناول من جيبه بطارية جيب صغيرة ولوح بها .

ولاذ جورج بالصمت ولم يعد يقول شيئا .

وبعد بضع دقائق رن جرس الباب فبادر كوري لاستقبال الطارق ثم رجع بعد لحظات يقول انه دكتور بابوك .

كانت سيلز وايما واقفتين بجانب الفراش وأقبل دكتور بابوك على مريضته يقيس نبضها .

وكانت مسز منسون في ذلك الوقت مستغرقة في النوم .

وقصوا عليه ما حدث فغمغم يقول بوحشية :

ــ هذا عجيب ومخيف أيضاً

ومضت ميلي تقول :

ــ إني لم أسمع شيئاً على الاطلاق ولم أر شيئاً. ولو اني سمعت صرخة هاتي لما خامرتني ذرة من الخوف أما مسز ملسون المسكينة .

ونظرت ميلي الى عيني المريضة .

لقد استطاع دكتور بليدل في براعة أن يجعلها تفيق من الإغماء ، ثم جعل يتحدث ببساطة عن الكابوس الذي شاهدته هاتي . وكانت المريضة تنظر اليه طول الوقت ولا ترفع عنه بصرها لحظة وتنصت لما يقول .

ثم أعطاها منوماً أخرجه من حقيبته الطبية وليس من الزجاجة الموضوعة على الطاولة .

لقد هم في البداية بتناول زجاجة المنوم لكن نظرة الخوف التي تجلت في عينيها جعلت يده تتوقف وترتد إلى حقيبته ليخرج منهـــا الدواء ، كما لوح بالزجاجة أمامها ، ومع ذلك ظلت المريضة على رفضها فتطلعت إلى ايمـــا كأنما تتحدث اليها .

فقالت ايما :

إني سأنام هنا كوني مطمئنة نعم لن أغادر الغرفة .

بعد هذه الكلمات أصبح كل شيء على ما يرام فأخلدت المريضة للنوم ، واستقرت ايما على حافة الفراش وأخذت تتثاءب وبدا كل شيء كأنما عيب تام

ان هيا انصرفوا واتركوا الغرفة .

ولمس الدكتور بابوك ذراع ميلي وقال لها .

– هيا يا مس سيلز لم يعد لك هنا ما تفعلين انك في حاجة إلى كأس تنعشك ، كما قال مستر منسون ، وانا أيضاً في حاجة إلى مثل هذه الكأس .

ثم اطلق ضحكة خافتة وقال :

– في الحقيقة ، انك تستحقين هذه الكأس . فقد كانت ليلة طويلة مضنية

وتأبط ذراعها ومشى بها إلى خارج الغرفة وأخذ يعبر بها البهو وهو يسحبها سحباً كأنها مريضة لا تقوى على السير .

وسرى عنها وبدد وجومها ، فقد كانت تخشى ان يلومها على نومها حين نوبتها ورعايتها للمريضة ، فليس من حق الممرضة أن تنام . لكنه كان منصفاً متسامحاً

كانت جميع غرف البهو مفتوحة على مصراعيها عدا غرفتين اثنتين وكانت جميع الغرف مضاءة

فإلى اليمين غرفة مستر منسون الوردية إذ ان كل ما فيها وردي اللون : الأثاث والأغطية والجدران وكل شيء ، ويبدو انه هب من نومه فزعاً عند سماعه صرخة هاتي فقد كانت الأغطية كلها ملقاة على الأرض .

وإلى اليسار غرفة روبي وكانت موصدة الباب نعم . فقد أغلقت بالمفتاح منذ وفاته ، وما من شك في انها الآن مترِبة يغطيها الغبار ويسود كل موضع فيها

وبعدها الغرفة التي يشغلها مستر بروس كوري وهي غرفة رمادية اللون وأثاثها كله ذو ألوان داكنة .

ويلي غرفة مستر كوري الجناح الذي يخص مستر منسون ولا يستعمل إلا

نادراً . ومع ذلك كان واضحاً ان شخصاً ما استخدم هذا الجناح فقد كانت الأنوار مضاءة في الحمام وفي غرفة الثياب وكانت جميع الأدراج مفتوحة ، كأنما كان هنا شخص يفتش عن شيء ما .

كانت المناديل ملقاة على الأرض ، وأطراف كوفية تتدلى من أحد الأدراج المفتوحة .

ترى ما هو هذا الشيء الذي كانوا يبحثون عنه بسرعة ؟ أيكون مسدساً مخبأ في درج المناديل ؟ ومن يكون ذلك الذي كان يبحث عن هذا الشيء المجهول ؟

أما الباب الثاني المجاور لجناح مستر منسون فهو باب الدور المسحور ، وكان أيضاً موصداً .

وفي رفق ضغط دكتور بابوك على ذراع ميلي .

فقالت :

-- لا بد ان ذراعي ترتعش إن ركبتي ترتعدان ويخيل لي اني لا أقوى على السير كما اني أحس صداعاً شديداً .

وابتسمت في وجه الدكتور بابوك كأنما تبدي له امتنانها .

ثم أخذت تهبط الى الطابق السفلي ، وهو ما زال متأبطاً ذراعها في حنان .

وكان يقول لها وهما يهبطان الدرج

– هوني عليك يا فتاتي ، ولا يقلقك أمر مريضتك فهي بحال طيبة وسوف تصحو وهي على ما يرام فقد كانت بحاجة إلى شيء من الراحة وعليك غداً أن تخرجي لنزهتك اليومية المألوفة اننا لا نريد لك ان تنهاري لأننا في مسيس الحاجة اليك .

كانوا لا يزالون مجتمعين في غرفة المكتبة ، وقد انضم اليهم والد جورج وأمه ، لقد رأيتهما من قبل على بعد لكنهما لم يلتقيا أبداً .

كان مستر بيري مرتدياً بيجامته ، وكان جالساً أمام المدفأة يصطلي الدفء . أما زوجته - اليس بيري - فكانت مرتدية ثيابها كاملة وحتى عقد اللآلىء كان يزين جيدها . .

لم يحفل أحد عند دخولها بأن يقوم بواجب التعارف وحتى جورج بيري نفسه لم يهتم بأن يقدمها لوالديه .

ومضت إلى كرسي بجانب النافذة ، واتخذت مجلسها بعيداً عن دائرة الضوء

ودارت ببصرها بأرجاء الغرفة غارقا في مقعد ضخم

وحمل اليها مستر كوري كأسا من الشراب ، قدمه اليها صامتاً لا يتكلم .

كانت الساعة إذ ذاك الرابعة بعد نصف الليل وكان السكون سائداً والأرض غارقة في الظلام .

كانت اليس بيري تضحك قائلة .

- إني عادة أنام نوما عميقا لكني الليلة كنت قلقة مصابة بالأرق لسبب لا أدريه ، أو لعل هبات الريح الشديدة هي التي كانت تزعجني وقد سمعت وقع خطوات جورج وهو يحوس بانحاء البيت وعزوت ذلك إلى وجع أسنانه بعد ذلك سمعت خطوات زوجي وهو يتنقل في انحاء البيت فرأيت ان أنهض لأتبين ودا هما .

وحين دخلت إلى مخدع جورج وجدت انه قد ترك لي مفكرة يخطرني فيها بأنه موجود هنا فذهبت إلى زوجي وأبلغته الأمر وجئنا معا نستفسر عما حدث وهذا أدنى واجب يقوم به الجار حيال جاره .

واسترسلت اليس بيري تقول .

. لو ان هاتي كانت في خدمتي لطردتها على الفور عقابا لها على ما أثارته من قلق وانزعاج .

وضحكوا كلهم لهذه الملاحظة .

فقال مستر كوري :

– الريح هي المسؤولة فقد قال جورج ان أغصان اللبلاب متدلية لأسفل ولا شك ان هذا ما رأته هاتي فأفزعها .

فأيدته اليس فيما قال :

– أصبت ، فقد حطمت الريح أزهارنا التي تعب زوجي في إنمائها ورعايتها .

فأومأ مستر بيري برأسه إيجابا وقال

– نعم كانت الريح عنيفة مخيفة تهز أغصان الأشجار بلا رحمة والأشجار كما تعلمون مخلوق حي يفرح ويتألم ، حتى لقد ظننت ان هاتي حزينة من أجل الأشجار فصرخت رثاء لها .

وأغرقوا جميعا بالضحك ثانية .

فقال الدكتور بابوك :

– لقد كانت الرياح شديدة أيضا في البلدة .

وصرخ جورج :

– ما هذا الذي ترددون ؟ الرياح ، الرياح . اليس لديكم من حديث إلا عن الرياح ؟ كل شيء تعزونه للرياح ؟ أهذا هو تعليلكم الوحيد لما حدث ؟ حاولوا بالله عليكم أن تبحثوا عن سبب آخر .

وسئلت ميلي نفسها عن السبب الذي جعل بيري لا يهتم بأن يعرفها بوالديه .

ورددت في نفسها انه ليس هناك ما يدعو للسكوت أكثر من هذا فنهضت واقفة وأحنت رأسها تحيي الجميع قائلة :

– طاب مساؤكم ، إن مكاني بجانبها وليس هنا .

وسمعت بابوك يقول وهو يغادر الغرفة ان تقرير الملك كان طيبا مبشراً

بالأمل ، فقد اتصل به من البلدة مستفسراً ، إذ انه ينـوي أن يجري العلاج بالتدليك كل يوم ، لأنه لاحظ ان مسز منســون تستجيب إلى هذا العلاج .

وفيما كانت ترتقي الدرج ، صاعدة إلى الطابق العلوي ، لحق بهـا جورج .

لم يقل شيئاً ولم يوجه اليها كلمة واحدة وإنما القى بذراعيه حولها يطوقها ويضمها إلى صدره .

وكانت هذه أول مرة يقبلها فيها .

وكانت ايما ، في هذه اللحظة خارجة من الحمام ، تحمل الإبريق والقدح والكوب .

كانت كلها نظيفة تبرق بعد أن غسلتها

أما هي مسز منسون - فكانت تتابع ايما من خلال أهدابها الطويلة الموجهة ، حتى يحسبها المرء غارقة في النوم .

انهمكت ايما بإزالة الغبار عن الطاولة ، وكان هناك شرخ في المصبـــاح الموضوع على الطاولة فهل ستفطن ايما يا ترى اليه ؟ او هـل ستفطن اليـه مس سيلز ؟

إنهم لن يعرفوا أبداً ما حدث للمصباح ، أما هي نورا - فتعرف كل شيء

إنها تعرف ان يدين غليظتين صفراوين قلبتا المصباح على الأرض فانشرخ وبعدها لم يكن النور كافيا .

نعم . لم يكن يكفي كي تتضح الرؤية ، ولم يكن يكفي لارتكاب جريمة قتل ، لذلك خلوا عنها ولم يقتلوهـا هذه الليلة . لم يكن هنـاك صوت مس سمعها إلا خبطة المصباح وهو يصطدم بالأرض ، وإلا صوت تنفس شخصين .

نعم ، هناك شخصان يتنفسان في ظلمة الغرفة مس سيلز ، وهي جالسة في المقعد الوثير مستغرقة في النوم ، وصوت تنفس شخص آخر عند رأس السرير . وكان صوت مس سيلز هادئاً منتظماً رتيباً ، أما تنفس الآخر فكان سريعاً مبهوراً .

بهذا أخذت نورا تحدث نفسها .

فمضت تترقب ان تصحو مس سيلز من النوم ، ولكنها شربت اللبن الممزوج بمحتويات الحبتين المنومتين فكيف تستفيق بهذه السرعة ؟

نعم ، ظلت مس سيلز نائمة ، لم تسمع خبطة المصباح على الأرض ، لكنها سمعت شيئاً آخر ، أو على الأقل أحست بشيء ما فقد تحركت في سباتها وتأوهت مسكينة مس سيلز !

ولكن لا . انها ليست مسكينة ! انها غنية وافرة الثراء ، فقد منحتها يوماً جديداً تعيشه وتحياه .

وهبطت الأيادي الأربع الصفراء إلى الأرض ، تزحف هنا وهناك باحثة عن المصباح ، فلو ان مس سيلز استيقظت الآن ، لرأت شبحاً جاثماً يزحف على أربع ، ولصرخت كما فعلت هاتي وحين تضيء النور لن تجد شيئاً على الاطلاق .

وعندئذ سيقولون لها :

– إنك مرهقة يا مس سيلز ! انك منهارة الأعصاب ! انك بحاجة إلى راحة طويلة بضعة أسابيع !

وعند هذا تذهب مس سيلز ، تختفي ولا يعود لها من وجود

والمصباح ؟ ترى ما مصيره ؟ هل سيأخذه أحدهم قبل أن يفطن بعضهم إلى الشرخ الذي أصابه ؟ ولكن ما هي الحجة التي سيتذرع بها بعضهم كي يأخذ المصباح ؟

هذا على أية حال لا أهمية له . المهم انك أكيدة من انهم سيأخذون

المصباح هيا دعي المصباح وانسي شأنه .

إن عليك ان تتذكري ما حدث بعد هذا .. لا بد ان هناك شيئاً آخر يجب ان تتذكريه .

وهاتي ؟. متى صرخت ؟. أكان ذلك بعد دقيقة واحدة أم بعد عدة دقائق ؟ إن من الصعب ان يحسب المرء الوقت بدقة خلال الظلمة السائدة .

وهذا الطبيب الجديد الذي استدعاه رالف . إنه شاب ، إنه أصغر كثيراً من بابوك ، كما انه قليل الخبرة ، لكنه على أية حال عطوف رقيق ، وقوي الملاحظة .

حين هم بأن يتناول من فوق الطاولة زجاجة الحبوب المنومة - فهم ... الفور نظرتي وما ينطوي فيها من المعاني . فهم اني أنفر من هذه الحبوب ، فتناول حبوباً اخرى من حقيبته ، وكانت هذه الزجاجة جديدة ، وقد لوح بها أمام عيني وفتحها بحضوري .

إنها زجاجة جديدة ، فهي آمنة سليمة ومع وجود ايما في الغرفة وأيضاً مس سيلز فكل شيء آمن سليم .

ولكن هذا يكفي ، ولنعد الآن إلى هاتي .

* * *

لقد قال الطبيب الشاب ان هاتي صرخت لأنها رأت في المنام كابوساً، لكن مس سيلز قالت شيئاً آخر مختلفاً .

ذكرت ان الخوف استولى على هاتي بسبب اللبلاب خارج النافذة . إنهم يؤمنون بما يقولون لأنهم صدقوا ما قيل لهم . ولكن هاتي تعرف كل ورقة

من أوراق اللبلاب وتعرف كل غصن إن ما رأته هاتي وبعث الرعب بقلبها لم يكن اللبلاب إنما شبح اسود له أربع أياد .

لو ان هاتي تكلمت قبل الآخرين ، لو ان هاتي تكلمت في كل مكان ومع كل إنسان لو انها فعلت لعرف الناس الحقيقة ولعرفوا ان اللبلاب لا شأن له بما أخافها

لكن أكان الضوء كافياً لكي ترى هاتي الأيدي الأربع؟ ألا ليتها تتحدث ألا ليتها تقول انها رأت الأيادي الأربع !

ولكنك رأيته وهو يصنع الأيدي فقد قال لها ان الأمر سر انه مجرد نكتة فقد أخبرك انه يصنعها ليقدمها هدية .

هيا فكري فكري . هناك شخص آخر يعرف بالأمر . شخص جاء إلى الغرفة ورأى كل شيء من يكون هذا ؟ نعم. من هو ؟ ها انت ذي قد بدأت الآن تخطئين. ها انت ذي تدعين ذهنك يشرد بعيداً انك ترين وجهه وتسمعين صوته . ألا تكفين عن هذا التفكير ؟ فكري في شيء آخر حتى لا يضل عقلك في مجالات تفسد تفكيرك ..

فمثلاً أطلقي على نفسك الأسماء اللطيفة التي تناديك بها مس سيلز . فهي تناديك بطفلتي الصغيرة ، وحبيبتي .

نعم أنت طفلة عزيزة . نعم دعي التفكير في الأيدي، ودعي التفكير فيمن صنعها وفيمن دخل وهو يصنعها

والآن هيا عودي إلى احداث الليلة الماضية لعلك نسيت شيئاً ، لعلك تجاوزت عن شيء له أهميته شيء يرشدك لما خفي عنك .

المصباح الذي تدحرج وسقط على الأرض . الظلام . الانتظار والترقب . الصرخة الداوية ثم لا شيء لا شيء على الاطلاق

وعلا صوت ايما تسأل :

— هل أنت صاحية ؟ حسنا جداً فقد جاءت مس سيلز بفطورك انك

كنت نائمة في سكون وهدوء لانك تعرفين اني بجانبك .

وأطعمتها إيما مستعملة الملعقة والشفاطة الزجاجية ولسانها في غضون ذلك لا يكف عن الثرثرة :

– إن التليفون اليوم لم ينقطع لحظة واحدة عن الرنين . فقد علم أهل البلدة بما أصابك من خوف في الليلة الماضية فغدوا يستفسرون عنك . ان الساعة الآن لم تجاوز العاشرة صباحا ومع ذلك وفد للاستفسار عنك عدد كبير من الزائرين :

دكتور بابوك ، وآل بيري ، وذلك الطبيب الشاب اللطيف ، وإن كان لم يمكث إلا قليلا . وقد أحضرت لك مسز بيري برطمانا من الجيـــلي ، وزجاجة من عصير الفراولة . والآن كلي هذه البيضة ، وبعد ذلك أدعوهم لمقابلتك .

وجاءت مس سيلز ، وأصلحت من وضع المقعـد ، وجعلته بمواجهة النافذة .

– إن الجو بارد اليوم ، فلا يسعني ان أجلسك في الشرفة ، وأشعة الشمس تنفذ من النافذة ، ولك ان تنسى ان شئت فأنت في حاجة لمزيد من النوم .

ثم أردفت :

– اسمعي يا ايما ، انها تريد هذه السجادة . انها تحب ان توضع عـــلى ركبتيها لتدفئها .

وأجلستهـا ايما على المقعـد ذي العجـلات ، ودفعتـه الى ناحيـة النافذة .

وسمعت الضيوف قادمين يسيرون بخطوات خفيفة .

وأحاط الزائرون بمقعدها باسمين يرددون المجاملات اللطيفة وعبـــارات الاستفسار عن صحتها :

– انك كنت شجاعة دون شك ، فقد راجهت الموقف بشجاعة . ان الجو لطيف اليوم يا مسز منسون . انك . .

وضاق صدرها بهذه الثرثرة ، فأطبقت عينيها كأنما دب اليها النعاس وان كانت في الواقع يقظة تستمع الى كل كلمة تتردد حولها .

وسمعت مس سيلز تقول لشخص عند النافذة :

– كلا ، لا تأخذ السجادة . فهي تريدها انها ترتاح الى وجودها فوق ركبتيها .

وسمعت صوتا يسأل :

– أهي نائمة يا مس سيلز ؟

– انها مسترخية فقط ، وهذه علامة طيبة ولكن تكلموا كيفما تشاءون . انها تحب ان تسمع اصواتا حولها ، اليس كذلك ، يا دكتور بابوك ؟

– تماما ، تماما . فسماع الأصوات يسري عنها .

وقال رالف :

– ايما . أيمكننا ان نتذوق عصير الفراولة ، الذي جاءت بـه ، مسز بيري

– ولم لا ؟. إن مسز بيرل خير من يجيد صنع عصير الفراولة في هذه البلدة

وقالت مسز بيري ، وعلى وجهها ابتسامة ارتياح ، تشغل كل وجهها :

– شكراً لك يا ايما . ما أسعد مسز منسون بأن تعملي لديها .

وجاءت ايما بزجاجة العصير من غرفة الطعام وصبت الأقداح ، ودارت بالصينية على الحاضرين .

واستوت ايما على أحد المقاعد متهالكة وهي تقول

- قد أصبحت عجوزاً لا أقوى على العمل . ان يدين اثنتين لا تكفيان لإنجاز العمل المطلوب اني بحاجة لأربع أياد

وصلت الكلمة لأذن مسز منسون . ألا انصتوا جميعكم وارهفوا السمع لما نطقت به ايما . فهي تقول « أربع أياد » .

ألا تسمعون ؟ أنظروا الى وجه ايما . لا بد انها تقصد شيئا معينا ، تقصد شخصا معينا أربع اياد . وهذا ما رأته في جوف الليل . أربع أياد صفراء تزحف تحت إطار الحاجز .

واستطردت ايما .

- ومع ذلك سأستمر في العمل ، وان كنت في حاجة الى زوجين من الأيدي .

سأكون في حاجة الى ان أنام قليلاً ، خلال ساعات النهار ، لأستعيد نشاطي .

ورد عليها مستر رالف قائلا :

- لك أن تنامي يا ايما في أي وقت تريدين اعتبري نفسك ربة البيت ان لك ان تتصرفي كما يحلو لك

- شكراً لك يا سيدي . والواقع اني في حاجة الان الى شيء معين لكن كان يجب استئذانك أولاً .

وجاءت اللحظة الحاسمة .

جاءت اللحظة التي انكشف فيها الأمر

قالت ايما :

- اني اريد ان أغير المصباح الموضوع بقرب الفراش .

- وما عيبه يا ايما .

- ان مظلته كبيرة ودائرة العتمة التي يرسلها أكبر مما ينبغي .

هيا يا ايما انظري الى القنديل . انظري فقد ترين ان قاعدته مشروخة ،

فقد تتساءلين عن شرخ القنديل .

وجاء شخص لا تدري من يكون فوقف خلف مقعدها .

ما الذي يريده منها ؟. ايريد ان يخنقها في وضح النهار وامام هذا الجمع ؟ هل اختبل عقلك ؟ ألا ينتظر حتى يهبط الليل ويعم الظلام ؟

وفي لحظات كانت مس سيلز قربها :

ـ ما الذي جرى؟ ما بالك ترتجفين يا حبيبتي ؟ انك دافئة فما الذي يجعلك ترتجفين ؟

وقال جورج :

ـ لقد ذكرني القنديل بشيء حدث الليلة الماضية .

ثم التفت الى الدكتور بابوك وقال يسأله :

ـ أيمكن ان نتحدث عما حصل الليلة الماضية يا دكتور ؟

ـ ولم لا ؟ فقد طويت هذه الاحداث فلم يعد لها من اثر .

وعاد جورج الى حديثه يقول :

ـ قبل ان تصرخ هاتي ، في جوف الليل ، حدث ان قلب احدهم القنديل .

ـ قلب احدهم القنديل ؟ ماذا يعني ؟

ـ كنت واقفا في غرفتي أطل من النافذة ، وفجأة غرقت هذه الغرفة في الظلام ، واستمر ذلك نحو دقيقتين او ثلاث ، انبثـــق النور من اخرى . والذي انطفأ ثم عاد واضاء هو القنديل المجاور للفراش ، لان قنديل السقف كان مطفأ من قبل .

فردت مس سيلز :

ـ لا شك انك تهذى ، لان قنديل الفراش كان مضاءاً حين ذهبت لانام وكان مضاء ايضا حين صرخت هاتي ووصل مستر كورى الى الغرفة راكضا . اليس كذلك يا مستر كورى ؟

فرد بروس في بساطة :

— كلا كا على صواب فعندما دخلت كان القنـديل على الأرض ، فرفعته ووضعته على المنضدة . فأضاء نوره الغرفة .

فقال جورج في شيء من الاستغراب :

— أكان ملقى على الأرض؟

ورددت مس سيلز وراءه

- على الأرض ؟ هذا عجيب !. ولكني لم أسمعه يقع . فقد شعرت فقط كوري وهو يهزني بعنف ليوقظني .

وقالت ايما وهي تمسك بالقنديل :

— هذا القنديل لم يعد يصلح للعمل . إن به شرخاً كبيراً. يجب ان نتبرع به للجمعية الخيرية فتعرضه للبيع في مزادها السنوي .

فهتفت مسز بيري :

— يا لها من فكرة رائعة أنتهدوا هذا القنديل لمزاد الجمعية الخيرية. لاتنسى يا جورج ان تأخذ القنديل معك عند انصرافك .

فقد كانت مسز بيري رئيسة الجمعية

وقال جورج :

— سأفعل ، لكن كيف يمكن ان يقع قنديل ثقيل كهذا ؟ أمن المعقول أن تكون الريح أيضاً هي التي دفعته ؟

- الريح ؟ طبعاً لا . كما لا يمكن أيضـاً ان تكون هي التي أوقعته ، لأنها عاجزة عن ان تمد اليه يدها .

وقالت ايما :

— لقد كانت الريح شديدة بالأمس ، فملأت الغرفة بالغبار وأوراق الشجر، فمن المحتمل انها هي التي أوقعت المصباح .

والتفتت اليس إلى ابنها تسأله :

– ماذا تقول يا جورج ؟ هل تحدث نفسك؟

فابتسم جورج وأجاب :

– إنني أغمغم ببيت من الشعر عن الرياح حفظته في صباي ، وقد ذكرتني به هذه الريح التي تتحدثون عنها الآن ، والتي قلبت مصباحاً يزن خمسة كيلوجرامات :

« كل شيء إلى الريح يعزون ، ما ظهر من عملهم وما يخفون ، كله إلى الريح ينسبون »

ثم أردف :

– أظن انه قد حان الوقت كي نعود إلى البيت .

وتحركت المقاعد على الفور ، ووضعت الاقداح على المنضـدة وعلى رف المدفأة ، واختلطت الأصوات وتشابكت الكلمات :

مستر بيري لماذا لم تشرب الفراولا ، لا تنسى القنديل يا جورج. شكراًعلى حضوركم . قد أتعبناك يا ايا .

وانصرفوا جميعـاً . إنصرفوا وخفتت الأصوات . وأخذت ايا تجمع الأقداح

مسكينة ايا إنها هي وحدها التي ستغسل هذه الأكداس من الأواني ، وليس هذا فقط بل ستكنس الغرفة للمرة الثانية خلال ساعات .

والقنديل ؟ نعم . سقط على الارض وانشرخ ، وزعموا مخدوعين ان الريح هي التي أسقطته

يا لهم من مخدوعين ! كانت تستمع اليوم وهي مطبقة العينين ، وكانت تسخر من جهلهم أمعقول ان تسقط الريح مثل هذا القنديل الثقيـل ؟ كانوا جميعاً مخدوعين – فيما عدا جورج . وكانت في صوته رنة غريبة . رنة حافلة بالشكوك وبيت الشعر الذي رواه انه من كتاب أشعار قدمته اليـه هدية ، كما قدمت نسخة أخرى لروبي . نعم جورج وروبي كانا دائمـاً معاً .

وكانا يذهبان للمدرسة سوية .

آه ، ان جورج هو الذي يعرف موضوع الايدي . جورج هو الذي رأى الايدي حين رأيتها أنا .

كنت أحاول ان أذكر من رآها معي . من الذي دخل وأنا أراها . الآن ذكرت انه جورج .

والآن لكي تكتمل الحلقات يجب ان تتكلم هاتي لانها رأت اليد ذات الذراع الطويلة فوق الجدار بجانب اللبلاب .

يجب ان يسمع جورج ما تقوله هاتي .. نعم ، يجب ، يجب ، فقد تتكشف الامور .

وقالت ايا :

– أرجوك يا مس سيلز ان تحملي هذه الاقداح معك عند خروجك الان ، أما أنا فسأبقى مع مسز نورا ، وساعد لها غداءها حين يدركها الجوع . إنها الان نائمة ولا أدري متى تستيقظ . ولا داعي لان تتعجلي العودة يا مس سيلز ، فإنني لن ابتعد عنها لحظة واحدة حتى تعودي .. أوه .. ما أجمل هذا المعطف الاحمر ! إن اللون الاحمر يناسبك تماماً ، يا مس سيلز .

إن مس سيلز خارجة لتتريض قليلاً . ومن خلال النافذة أستطيع أن أتابعها ببصري ، إن المعطف الاحمر يظل واضحاً للعين مهما ابتعد المرء . سأتأمل الاطفال وهم يلعبون في الحديقة العامة ، وسأتأمل المربيات وهن جالسات يتسامرن وسأتأملك أنت أيضاً يا ميلي ، بمعطفك الاحمر الفاقع اللون

آه ها هي مس سيلز تسير في الحديقة مختالة بمعطفها الاحمر ، لكن من هذه المرأة ذات المعطف الاخضر والقبعة الخضراء ؟

أسكتي يا ايا . كفى ثرثرة كفى كلاماً اسكتي ودعيني أفكر . من هي

ذات المعطف الاخضر ؟

إني أعرف ذات المعطف الاحمر . انهـــا مس سيلز ، أما الاخرى ، فمن هي ؟

لكن ايما كانت تواصل ثرثرتها :

- إذن فقد استيقظت وانت الان منهمكة في التطلع من النافذة، حسناً انظري كيف شئت ، فهذه تسليتك الوحيدة هل أنت سعيدة لاني وضعت السجادة على ساقيك .

ولكن يا إلهي ؟ ما الذي جرى لهدب السجادة ؟ قد عقدته فمن الذي فك العقد ؟ لا يمكن ان تكوني أنت يا مس نورا التي حللت الشراريب . أوه ! ما بالك يا مس نورا . إنني أتحدث اليك وأنت لا تصغين . انك شاردة الذهن فيم تفكرين ياترى ؟ وفيم تحدقين يا ترى ؟

آه إنك تنظرين لذات المعطف الاخضر.انك تعرفينها فكيف لا تذكريها يا عزيزتي مس نورا ؟

فقد مكثت في هذا البيت أياماً عديدة .

فتألقت عينا مسز ملسون فجأة .

فقد عرفت ذات المعطف الاخضر وذكرتها . نعم انها مس بيرد

إني أذكرها الان . انها الممرضة التي كانت ترعاني قبل مس سيلز فقـد اعتادت ان ترتدي دائماً المعطف الاخضر والقبعـــة الخضراء . انها هي بعينها . وها هي ذي قد عادت فلمَ رجعت ؟ بل لم طردوها وجاؤوا بممرضة أخرى بدلاً منها

لا شك انهم طردوها لانها رأت شيئاً أو لاحظت شيئاً طردوها لانهـــا عرفت أسرارهم ومكائدهم .

هذا هو التعليل الوحيد ، فقد كنت ألاحظ دائماً انها تهم بقول شيء ثم ترجع فتلوذ بالصمت ، كانت عيناها تحدثان بحديث خفي ، لكن لسانها

كان متردداً صامتاً .

إسمعي يا مس بيرد انني أعرف انك تعرفين شيئاً ، فهيا تكلمي . هأنذا في نافذتي أراقبك وأتابع خطواتك . فهل جئت كي تتكلمي ؟ اذن تكلمي ولا ترددي .

هل ترين هذه الفتاة ذات المعطف الاحمر ؟ انها ممرضتي الجديدة مس سيلز . ممرضتي التي حلت مكانك ، فهيا اذهبي اليها وحدثيها . هيا افضي اليها بكل ما تكتمين .

أرجوك يا مس بيرد ، أتوسل اليك . إذهبي الى مس سيلز ، وحدثيهـــا بكل شيء .. قـولي لها ما تعرفـين . اكشفي لها ما أثار ريبتـك وشكوكك .

يا إلهي ! انها لا تستجيب لرجائي .

إذن فلا مهرب لي من الموت . لقد انتصف النهار ولم يبق على ساعة مصرعي إلا ست ساعات .

انهم الان يدبرون أمرهم مترقبين هبوط الليل . انهم الان يعدون الوسيلة التي يقتلونني بها

* * *

في تلك اللحظة ، كانت اليس بيري في بيتها ممسكة بالقنديل المشروخ ، الذي أخذتــه من بيت مسز منسون لبيعــه في المزاد ، لصالح الجمعيــة الخيرية .

أخذت اليس تتأمل القنديل كان تحفة فنية رائعة عليه نقوش بارزة تمثل كيوبيد إله الحب .

نظرت اليس الى زوجها قائلة :

- ما رأيك في ان أحتفظ انفسي بهذا التمثال ، وأعرض في المزاد شيئاً آخر .

فقال زوجها :

- انه في الحق آية في الجمال .

- لقد أهداه اليها مستر كوري في عيد ميلادها تصور يديها قنديل محلى بنقوش إله الحب .

فقال ابنها جورج :

- وأي ضير في هذا ؟

فقالت الأم :

- إن بروس كوري يحب مسز منسون ، والمؤلم في هذا ان زوجها غافل عما يجري أمام عينيه فلم يخامره الشك لحظة واحدة .

- أرجوك يا أماه . دعي مسز منسون في محنتها ، ولنتحدث في شأن آخر .

- في أي شأن تريدني ان أتحدث ؟

- أي شأن . مثلاً ، أريد ان اسألك عن روبي . هل رأيته يوم وفاته ؟

- كلا ، لم أره بالطبع

- ولكنني رأيتك تذهبين بعد ظهر ذلك اليوم لمنزل مسز منسون ، رغم انك انقطعت عن زيارتها منذ شهور . وقد رأيتك تصلين الى باب البيت . لكنهم لم يأذنوا لك بالدخول والذي أثار استغرابي هو السر في اختيارك الزيارة هذا اليوم وهذه الساعة بالذات .

فقالت اليس في شيء من السخرية :

- الحق ان لي ابناً غبياً ، إني لم أختر الزيارة لا هذا اليوم ولا هذه الساعة

كما اني لم أمنع من دخول البيت ، كل ما هناك اني شعرت برغبة لزيارة نورا فما كان مني إلا ان ذهبت ، وحين علمت بما حدث لروبي آثرت العودة وإرجاء الزيارة .

فقال جورج :

ـ ولكنك لم ترجعي إلى البيت ، كنت في هذه اللحظة قادماً من المحطة فرأيتك تجولين حول البيت وتحدقين بنافذة الدور المسحور .

وتضرج وجه اليس بيري احمراراً ، وظهرت على وجهها امارات الاضطراب وردت :

ـ إذن فقد رأيتني . حسناً ، إن التعليل بسيط ، عندما فتحوا لي الباب وصل إلى سمعي صوت بكاء نورا ، فلما انصرفت رثيت لحالها وحزنت ، رغم ان علاقات الصداقة بيننا ليست قوية ، فدنوت من نافذة الدور المسحور لكي أطمئن عليها .

فضحك جورج وقال في شيء من التهكم :

ـ إذن فالاطمئنان هو الدافع الوحيد ، لقد لمحتك يا أماه وأنت تتطلعين إلى النافذة ، ثم رأيتك تنحنين على الأرض وتفتشين على شيء في الأعشاب .

واشتد اضطراب الأم وردت :

ـ جورج ، لا تحدجني بنظراتك . نعم اني رأيت روبي من هذه النافذة ، رأيته قادماً من الخارج مهرولاً يكاد يجري وتساءلت عما دعاه إلى الحضور باكراً في غير موعده المألوف .

وكنت أعلم ان نوراً ليست بالمنزل ، لأني رأيتها في الصباح تخرج من المنزل في سيارتها .

وبعد فترة من الزمن صعدت إلى غرفتي لأبدل ثيابي ، وبدرت مني لفتة الى الخارج فأدهشني أن شاهدت نافذة الغرفة المسحورة مفتوحة فقلت في نفسي

لا بد ان روبي منهمك في الكتابة على الآلة الكاتبة . وعندئذ حدث أمر عجيب . شاهدت شيئاً يطير من نافذة الغرفة المسحورة ، ويسقط بين الحشائش .. وكان هذا الشيء لامعاً ، يتألق في الشمس ، وهو يطير في الهواء

فقال جورج :

– وهذا الشيء هو المفتاح .

– ماذا تقول ؟

– الشيء الذي وقع بين الأعشاب هو مفتاح الدور المسحور ، فقد أوصد روبي الباب على نفسه ورمى المفتاح في الحديقة .

ولبثت اليس برهة صامتة ثم ردت :

– هل رأيتني يا جورج التقط المفتاح من بين الأعشاب ؟

– كلا ، ولكنني رأيتك تنهضين واقفة وترجعين المنزل

ثم أردف :

– ولقد بحثوا عن المفتاح طويلاً دون العثور عليه . وقد ركب منسون للباب قفلاً جديداً .

فقالت :

– لقد رأيته فعلاً صباح اليوم حين كنا في زيارتها

ثم تنهدت وأردفت قائلة :

– إن شللها نعمة على زوجها ، إذ يمكنه خلال مرضها ان يطلق يده في أموالها دون ان يحاسبه أحد على ما يفعل ، وإذا توفيت نورا ورثها منسون وأصبح غنياً .

فقال جورج :

- إذا توفيت أصبح كوري أكثر غنى . أنسيت أنها ورثت أموالها عن زوجها السابق كوري ؟

وما دام روبي قد مات فإن الثروة ترجع إلى عمه .

وسألته :

– هل بروس كوري غني؟

– إنه يلعب بالمال .

– أهو أغنى من رالف منسون ؟

– إن منسون يتقاضى مرتباً كبيراً ، كما يضارب في البورصة .

– هذا ما ظننته .

ثم أردفت :

– إلى أي شيء تتطلع يا جورج ؟

كان واقفاً عند النافذة يتطلع إلى الخارج باهتمام وتركيز :

– إنها ميلي سيلز مرتدية معطفها الأحمر ، وخارجة تتمشى كعادتها، وإن لم يكن هذا الموعد الذي اعتادت ان تقوم فيه برياضتها اليومية .

ومطت اليس شفتيها قائلة :

– إنهم يدللونها أكثر ممــــا ينبغي . منسون . كوري . بابوك . آه ! ألا تباً للرجال !

وسألها جورج :

– ما رأيك يا أماه في ميلي ؟

فقالت تراوغه :

– دعنا الآن من هذا فلم يحن الوقت بعد لكي أبدي رأيي .

أخذت ميلي تلاعب الأطفال وهي تمشي في الحديقة العامة حتى انتهت إلى أقصى موضع فيها دون ان تجد مقعداً واحداً خالياً . وخطر لها ان تزور أمها فتتناول الغداء عندها غير انها ما لبثت ان نفضت هذا الخاطر عن ذهنها لأن أمها من الذكاء بحيث سوف ترى في محياها امارات القلق، وستلح عليها بالسؤال حتى تجد نفسها مضطرة لأن تروي لها أحداث الليلة الفائتة وما كان من أمر

اليد الطويلة التي رأتها هاتي تزحف فوق الجدار، وستطلب منها الاستقالة والبعد بنفسها عن الأخطار .

قبل خروجها من البيت الآن قابلت هاتي ، وناقشتها فيا ذكرت عن اليد الطويلة .

قالت هاتي

– إني لست واهمة يا مس سيلز . إذهبي الى غرفتي وأطلي من النافذة ، وسترين أغصان اللبلاب المهشمة . لقد هشمتها اليد وهي تزحف فوق الحائط .

ومضت هاتي تتحدث في يقين ، وميلي تستمع اليها في دهشة وإنكار :

- وزحفت اليد هابطة من أعلى ، ثم لمست وجهي ، وبعد ذلك صعدت إلى أعلى ، إلى حيث جاءت . صدقيني يا مس سيلز إني لم أحلم وليس هذا فقط بل اني سمعت وقع أقدام فوق رأسي .

وهزت ميلي كتفيها استخفافاً قائلة :

- ما من شخص يستطيع ان يصدق حكايتك يا هاتي .

وعند هذه الكلمات استدارت ميلي خارجة من البيت وهي تبتسم استخفافاً .

وفي الحديقة اهتدت أخيراً إلى مقعد خال فاستوت جالسة .

وسمعت بقربها صوتاً نسائياً يقول :

- انك طيبة القلب جداً فقد رأيتك تلاعبين الأطفال بحنان .

كانت صاحبة هذه الكلمات امرأة لابسة معطفاً أخضر اللون وفوق رأسها قبعة خضراء .

وشكرتها ميلي واستطردت ذات المعطف الأخضر قائلة .

– انك ممرضة مسز منسون اليس كذلك ؟

فبدت الدهشة بعيني ميلي ، فاستطردت المرأة قائلة :

- لقد رأيتك تخرجين من المنزل منذ قليل . إن لي معرفة بمسز منسون ، فكيف حالها الآن ؟

- انها أحسن حالاً ان صحتها بتحسن مستمر .

- يسرني ان أسمع هذا فقد قيل لي انها اصيبت بنكسة .

واستطردت ذات المعطف الأخضر قائلة :

- اني أعرف أهل المنزل جميعاً ، وإن كانت معرفتي بهم بسيطة . مستر منسون ، ومسز كوري ، وايما كما أعرف جيرانهم آل بيري ، وكذلك دكتور بابوك .

وتململت ميلي في مقعدها .

ما الذي تريده هذه المرأة منها ؟ لم فرضت نفسها عليها ؟ أتراها تريد قول شيء لها ؟

وذكرت عند هذا قول مارج من ان امرأة جــاءت لمتجرها واخذت تستفسر عنها ، وأرادت معرفة عنوانها .

أتكون ذات المعطف الأخضر هي نفسها التي ذهبت الى متجر مارج تستعلم عنها ؟

واستطردت المرأة قولها وعلى شفتيها ابتسامة ودودة :

- يؤسفني اني لا أعرف اسمك . أما انا فاسمي هو مس بيرد ، واعيش في نيويورك ولكنني أتردد على هذه البلدة من حين لآخر .

ولاذت ميلي بالصمت ، ولم تحاول ان تعرفها بنفسها ، وإنما نظرت في ساعتها وقالت :

- آه ! لقد حان موعد انصرافي .

- هلا منحتني دقيقة واحدة من وقتك .

فتأبطت ذراعها وهي تقول :

— أكون ممتنة لك جداً يا مس ، يا مس إن أنت منحتني دقيقة واحدة من وقتك .

وكان أن ردت ميلي :

— إني آسفة جداً يا مس بيرد ، إذ لا بد من ذهابي لزيارة امي ، ولكنني ارجو ان نلتقي مرة اخرى .

وبادرت لمغادرة المكان في خطوات سريعة ، ومس بيرد تتابعها ببصرها .

* * *

ومن نافذة المخدع كانت المرأة المشلولة ترقب ما يجري في الخارج . لقد تحدثت الممرضتان ، فلو كان لدى مس بيرد ما جعلها ترتاب في مؤامرة تحضر لقتلي ؟. وهل صارحت مس سيلز بشكوكها ؟. ولكن الحديث لم يمتد بينهما إلا دقائق معدودات ، فهل كتمت الامر عن ممرضتي يا مس بيرد ؟

وعادت المريضة الى صحائف الماضي . ها هم جميعاً يتساءلون عن روبي ، هل رجع الى البيت ؟ ها هم جميعاً مجتمعون أمام باب الدور المسحور ومستر كوري يحاول تحطيم القفل .

كانت عينها على الباب وتوقف كل شيء فيها : نبضها ومشاعرها وأفكارها شيء واحد كانت تحس به ، يداها !. كانت يداها تؤلمانها ألماً شديداً .

كانت ايما واقفة وراءها ، وبروس واقف بينها وبين الباب يعالجانه بأدوات النجارة .

– يدي تؤلمني جداً . اسندوني ارجوكم ، امسكوا بيدي ، ان اوجاعها لا تحتمل .

وامسكت بيدها في رفق وحنان .

وكانت تموه في نفسها وتحاول ان تخدعها . لقد اوصد روبي الباب على نفسه ليخلوا الى آلته الكاتبة . وهو لا يرد على ندائنا لانه لا يريد ان يزعجه احد اثناء انهماكه في الكتابة . الآن سنفتح الباب ، ويستقبلنا مرحباً ونتناول العشاء معاً – نحن الاربعة .

انه لا يرد لانه استغرق في النوم . هم في البنك يرهقونه بالعمل ، سأحدث رالف في هذا وسأطلب منه ان يسند اليه عملاً خفيفاً .

واخيراً استجاب الباب وانفتح .

فتقدمت نورا داخلة . كانوا حولها يسندونها وكانت خطواتها مترنحة غير مستقرة ، ورأته .

رأت ابنها روبي .

ولكن الواقع انها لم تره ، إنما رأت حذاءه مجرد حذاء يتأرجح في الهواء ويعلو عن ارضية الغرفة بضع اقدام ، وحين ارادت رؤية وجهه كان لا بد لها من ان ترفع رأسها – لان ابنها روبي كان معلقاً في عوارض السقف ..

كان مشنوقاً يتدلى من السقف .

كان كل شيء ، كل ما مضى ماثلاً أمامها واذا كانت مشلولة فإن مخها لا يزال سليماً صافي التفكير .

وفي هذه اللحظة فتح الباب ، ودخلت ميلي سيلز .

وقالت اعا :

– لقد بكرت بالعودة .

– شعرت بالملل فآثرت ان ارجع .

ونظرت ايما الى المريضة قائلة .

- اتعلمين يا مس نورا انك سعيدة الحظ لان ممرضتك هي مس سيلز ؟ تصوري ان موعد رجوعها في السابعة ليلا ، ومع ذلك بادرت بالرجوع الآن لافرط محبتها لك . وهي لا تطيق فراقك .

ثم تحولت إلى ميلي فسألتها :

- هل تناولت الغداء عند امك ؟

كلا لا أشعر بالجوع

وأردفت :

- هل أكلت مسز منسون جيداً ؟

- أوه . لقد أطعمتها حتى التخمة .

وأقبلت ميلي على المريضة تتحسس يديها برقة وحنان .

فتلاقت عيناها بعيني مسز منسون. كانت نظرتها عميقة وثابتة وفيها حديث طويل ولكنه حديث غامض غير مفهوم .

وقالت ميلي :

- إسمعي يا مسز منسون اني أعرف اني قصرت في حقك ، إني أحاول ان أراضيك ، ولكني أراني عاجزة عن ذلك ، ففي عينيك كلام كثير ولكنه غامض علي . ألا ليتك تتحدثين . لو اني فهمت ما تريدين لسارعت لتلبية كل الرغبات إني أحبك من أعماق قلبي ولا شيء يهمني الا إرضاؤك وإسعادك . انك يا سيدتي أكثر من مريضة . عيناك تقولان انك خائفة من الموت ، ولكني أحب ان أؤكد لك يا طفلتي العزيزة انه ليس ثمة من سبب ما يدعو إلى توقعك الموت ان حالتك الصحية مستقرة وفي تقدم مستمر فلا تخافي من الموت أرجوك صدقيني اني صديقتك .

وأطبقت المريضة عينيها لحظة ، وراحت أنفاسها تتلاحق ، وصدرها يعلو وينخفض .

قالت ميلي:

- هذا أفضل . إن البكاء مفيد لك انه يخفف الكرب عن صدرك . لكم أتمنى يا سيدتي ان التقي بشخص يعرفك حق المعرفة لكي يحدثني عن خفاياك . لو ان هذا حدث لأعانتني هذه المعلومات على شفائك .

كانت عينا المريضة مطبقتين ، لكن الكلمات كانت تجيش وتصطخب في أعماق صدرها

انك تريدين يا مس سيلز شخصاً يعرفني ، اليس كذلك . انك التقيت بهذا الشخص اليوم في الحديقة مس بيرد المرأة ذات المعطف الأخضر . لقد عملت بمرضة لي عند بداية مرضي

طردوها . فلماذا طردت ؟

لا شك انها لاحظت شيئاً مريباً لا شك انها فطنت إلى المؤامرة التي تدبر لقتلي ، ومن اجل هذا طردت انك تحدثت اليها يا مس سيلز لقد رأيتكما من نافذة مخدعي وأنتما جالستان معاً ، هل ذكرت لك شيئاً ؟ هل حدثتك عن شكوكها ؟

لا أظن انها أفضت اليك بهواجسها لقد كان حديثكما قصيراً ، قصيراً جداً ثم رأيتك تنهضين مزمعة الانصراف .

وقالت ميلي :

– والآن أتودين ان احضر الجيلي أو عصير الليمون ؟

وجاءت ايفا تحمل أباجورة بدلاً من القنديل المشروخ الذي أخذته مس بيري .

وكان القنديل الجديد جميل الشكل ، تحلي قاعدته نقوش الورود والزهور .

وقالت ميلي :

– ما أجمل هذا القنديل انظري يا مسز منسون كم هو جميل . إن أزهاره

تبدو وكأنها حقيقية

فردت ايما في زهو وخيلاء :

— إنه من مقتنياتي فقد اشتريته منذ سنوات إني أحب الزهور .

وأردفت ايما متسائلة :

. أتنوين الخروج هذا المساء؟

— لا أدري ، ربما لكن لم السؤال ؟

— لأني أفكر في زيارة أختي لأنها على وشك الوضع .

فردت ميلي :

— إذهبي اليها إذن فليس في نيتي ان أخرج الليلة

وعادت ايما للسؤال :

— لكن اين ذهبت صباح اليوم.

. لقد جلست في الحديقة فترة من الزمن وبهذه المناسبة . لقد التقيت في الحديقة بامرأة ذكرت لي انها تعرف مسز منسون ، وانها تعرفك أيضاً يا ايما .

مس سيلز ، ايما ، هذا ما كنت أتمناه . كنت أتمنى أن تتحدث مس بيرد الى ميلي ، وان تكاشفها بشكوكهما ، فهل فعلت ؟ ترى هل فعلت ؟

فردت ايما :

— ما من إنسان في هذه البلدة لا يعرفني . ولكن من تكون هذه المرأة ؟ وما شكلها ؟

— إن لها أنفاً بارزاً شبيهاً بأنف الصقر ، وترتدي معطفاً أخضر اللون ، وأذكر انها قالت .

ودق جرس الباب ، فأسرعت ايما تلبي الطارق ..

وانقطع الحديث .

واطبقت المريضة عينيها ، فلم يعد ثمة أمل في معاودة الحديث عن مس بيرد .

وأدنت ميلي المقعد الكبير من الفراش ، واستوت جالسة كانت متهالكة متعبة . نعم . اني متعبة فلم لا أنام ، اني في حاجة الى شيء من الراحة ، وأعصابي تكاد ان تنهار ، وإن لم يكن من حق المرضة ان تنهار أعصابها . فتنهدت وتثاءبت ونامت .

وجنباً إلى جنب كانت المرأتان نائمتين ، إحداهما على الفراش والأخرى على المقعد الكبير

كانت عيونهما مطبقة ، لكن واحدة منهما كانت نائمة ، اما الأخرى فكانت صاحية ، صاحية مع الذكريات والخواطر التي تعصف بها .

صحت ميلي على الدكتور بابوك وهو واقف عند رأسها فلم تشعر به وهو يفتح الباب ، ولم تحس به وهو يدخل . وهبت واقفة تتعثر في خطاها ، وفي كلماتها .

قالت :

- دكتور بابوك ، اني آسفة فقد غلبني النوم .

- ولم لا ؟ انك متعبة . لكن هل حدث تغيير ؟

هزت ميلي رأسها سلباً .

واستطرد الطبيب :

- اعتقد انها تمر الآن بفترة يخشى معها الاصابة بنكسة ، فيجب ان نكون على حذر .

فقالت ميلي في نفسها :

- ما هذا يا دكتور ؟ كيف تردد هذا على مسمع المريضة ؟ الا تعلم ان هذه الكلمات قد تؤدي لاصابتها بالنكسة ؟

وسألته ميلي :

- الجو دافىء اليوم ، هل أستطيع ان اجلسها في الشرفة
فأجاب :
- كلا لا داعي هذه الغرفة آمنة وفي جدرانها حماية لها . ان المرضى من طرازها يخافون الفضاء

فلم تجب مس سيلز ، فقد كان لها رأي آخر . لقد علموها اثنـــاء الدراسة ان المشلول بمجرد استطاعته الجلوس يجب ان يجلس في الهواء الطلق لرفع روحه المعنوية .

ودار الدكتور بابوك في ارجاء الغرفة متفحصـــاً كل شيء فيها ، متطلعاً إلى كل ركن ، وحتى سلة اشغال الإبرة الخاصة بإيما نظر فيها ، ثم انصرف .

فقالت ميلي الى المريضة قائلة ضاحكة :
- لو انك نظرت كيف فحص كل شيء في الغرفة لتبادر لذهنك انه ينوى بيع محتويات الغرفة بالمزاد .

ولكن دكتور بابوك ما لبث ان عاد الى الغرفـــة ودار في ارجائها مرة اخرى وقال يخاطب الممرضة :
- مس سيلز ، اني قلق بشأنك ، اني مشفق عليك لقـــد بدأت تبدو عليك اعراض الانهيار والارهاق ، مما يحملني اعتقد انك في حاجة الى من يساعدك في عملك اني طبعاً لا اطعن في كفاءتك ، ولكني ارى انك في حاجة الى الراحة .

وهتفت ميلي :
- كلا . كلا اني بخير وغير مرهقة ، اني احب مسز منسون ، ولا اريد ان تحل مكاني ممرضة اخرى حتى ولو بضعة ايام وهي ايضاً تحبني ولا تريد سواى . اليس كذلك يا مسز منسون ؟ انظر اليها ، انظر الى عينيها ، انها تقول لا . هذه النظرة معناها لا هي تقول لك يا دكتور بابوك انها لا تريد

وابتسم الدكتور بابوك وقال في لهجة مترفقة .

- لا بأس يا ابنتي . استمري في عملك ، وسوف نرى كيف تتطور الأمور .

ثم اردف :

- لقد اخبرت ايما بأن تنام الليلة في غرفتها ، فلا اريد ان تعتمد المريضة على ايما اعتماداً كاملاً ، اريد ان يكون الشخص الذي يرعاها غير متصل بالماضي شخص غريب مثلك انت . اننا نريد ان ندفن ذكريات الماضي هذا يساعد على شفائها .

وحين انصرف الدكتور بابوك ارتدت ميلي الى مقعدها ، واخذت تتأمل محياها الشاحب المنعكس على صفحة المرآة ، ثم أطبقت عينيها ، ولزمت مكانها الى ان جاءت ايما ، وكانت الساعة اذ ذاك قد تجاوزت الرابعة والنصف مساء .

أشعلت ايما نيران المدفأة ، واخذت المرأتان تصطليان الدفء . اما مسز منسون فكانت مطبقة عينيها ، محتضنة خواطرها ، مستسلمة الى ما يجول في صدرها .

قالت ايما وهي تحرك يديها امام النيران :

- تصوري اني اليوم لم استطع ان ابعد روبي من ذهني لحظة واحدة لقد ظل طول اليوم يلاحقني اينما ذهبت .

فردت ميلي بصوت ضعيف :

- لكن لم اليوم بالذات ؟

- لأن اليوم هو الأحد ، وكان من عادته في ايام الآحاد ان يلزم المنزل لا يخرج ، وان يظل طول النهار صاعداً هابطاً ، يقفز الدرجات ويصفق الأبواب .

ثم أردفت :

- لقد ذكرت لي هاتي انها سمعت صوته ليلة الأمس .

- هاتي تخرف دون شك .

ونظرت ميليّ إلى مسز منسون وسألت :

- هل أنت نائمة يا مسز منسون ؟ يبدو انها في هذه المرة نائمة حقاً ، فلا أعتقد انها تحاول ان تخدعني .

ثم استرسلت :

— اني لا أعرف عن روبي إلا القليل ، وكلما طرقت الموضوع مع جورج أدار دفة الحديث إلى شيء آخر ، كما ان ما نشر في الصحف عن الحادث كان محدوداً جداً .

فقالت ايما :

— هذا شأن الصحف دائماً إذا كان الأمر متعلقاً بالكبراء . وقد دفعت مسز منسون للبنك مبلغاً يعادل ما اختلسه ابنها فلم يخسر البنك سنتاً واحداً

وقالت ايما مستطردة :

— لقد نشأ روبي مدللاً ، ونحن نعرف ذلك ، ولكني لا اعتقد انه يمكن ان يقدم على السرقة . ثم ما الذي يجعله بحاجة إلى المال ولديه منه أكداساً مكدسة أعني لدى أمه .

واستطردت :

— ثم انه شاب مستقيم وإن كان مدللاً فهو لا يدمن الخمر ، ولا يلعب القمار ولا يجري وراء النساء

وأخذت ايما تروي للممرضة ما كان من روبي في يومه الأخير .

قالت :

— لقد عاد إلى المنزل وأنا في السوق ، أشتري الحاجات المنزلية ، وهاهي

في المطبخ منهمكة في العمل والباب مغلق عليها ، فلم تعرف بقدومـــه .
وعندما عادت من السوق أخذت في إعداد العشاء وبعد ذلك جاء إلى مستر بروس واستدعاني .

وهرعوا جميعاً في ذلك اليوم الى الدور المسحور ، ونادوا على روبي فلم يرد على النداء ، وكان الباب موصداً بالمفتاح فجاء مستر بروس بأدوات النجارة واغتصب القفل .

وفي أثناء ذلك دق جرس الباب الخارجي ، وكانت مسز بيري هي الطارقة .

- وحين اقتحمنا الغرفة وجدنا روبي المسكين يتدلى من السقف إذ شنق نفسه . انه عزيز علي فقد توليت تربيته وقد رأته مسز نورا مشنوقاً . يا لها من مسكينة ! كانت الصدمة شديدة الوقع عليها .

فردت ميلي :

- كفى . كفى . لا داعي لأن ترددي هذا الحديث بحضورها فقد تصحو فجأة من النوم فتسمعك .

- انها مستغرقة في النوم فلا تخشي شيئاً .

واستطردت :

ولقد انهارت مسز مذسون ، ولم نشعر إلا وقد تهاوت على الأرض عند أقدامنا وكاد مستر الف ومستر بروس ان يجنا إشفاقاً عليها وخوفاً كان يبدو كأنما لفظت أنفاسها الأخيرة وأصبحت جثة هامدة، وجاء الدكتور بابوك وأخذ يعالجها ولا أدري

وأشارت ميلي بيدها طالبة اليها الصمت والكف عن الكلام .

وفي الخامسة والنصف جاءت هاني تحمل الى العليلة طعام العشاء .
وقالت ايما وهي تحاول ان تطعمها :

- مس نورا . إفتحي عينيك . أرجوك . لقد جاءت هاني بطعـام شهي

يسيل له اللعاب .

وفتحت المريضة عينيها ونظرت الى طبق اللحم المشوي ، وكان جلياً في البداية انها ترفض الأكل

وقالت ميلي محاولة ان تحث مريضتها على تناول الطعام :

أرجوك يا هاتي أحضري عشائي ، فاللحم يبدو شهياً لذيذاً .

وبدأت المريضة بتناول العشاء .

وهبط الليل ، وأخذت عتمة الغسق تنشر ظلالها على الغرفة .

فتكلمت ايا الى المرأة الساكنة كالجثة الهامدة :

– هيا نامي يا مسز منسون . ان النوم يفيدك . أما التفكير واستعادة الذكريات الحزنة فجدير بأن يحطمك .

ولكنها ظلت مطبقة العينين تفكر

هيا يا مس سيلز ، هيا عودي الى بيتك انك لا زلت شابة ، فلم تبقين في البيت ، والليلة هي ليلة الموت ؟ عودي إلى دار امك ، وإلا نزل بك الموت ، كما سوف ينزل بي ، هيا اهربي . ابتعـدي يا مس سيلز ، وإلا هصر الموت شبابك .

وأخذوا يتوافدون تباعاً .

جاء مستر منسون ، وبعده مستر بروس ثم جورج

جلسوا في الغرفة ، بعد ان القوا التحيـــة على المريضة العزيزة . كانوا صامتين واجمين ، ولم يفكر أحد منهم في ان يقرعوا الكؤوس ويشربوا الأنخاب .

وبعد فترة قصيرة أدار أحدهم الراديو ، وامتلأت الغرفة بضجة الطبول الزنجية ، وعلا صوت المغني وهو يردد متوجعاً :

« وداعاً يا حبيبي ، أهكذا ترحل دون ان تقبلني ؟ كيف لا تقبلني وانت تعلم انه الوداع ؟ الوداع الأبدي الذي لا رجعة بعده » .

صرخت ميلي :

– أوقفـوا الراديو ، إني لا أحب هذه الأغنيـة .. إنها محزنـة سخيفـة .

بادر جورج فأوقف الموسيقى

وقال بروس كوري :

– اني آسف يا مس سيلز

وتساءل مستر منسون :

– هل جاء الدكتور بابوك؟

وإذ ردت ميلي إيجاباً سألها :

– وما الذي قاله ؟

– لم يقل شيئاً ذا أهمية . انه لم يمكث الا قليلا .

واستطرد رالف :

– هل انت متعبة يا مس سيلز ؟ يمكنك ان تستريحي ، ففي وسعنا أنا وبروس ان نحل مكانك .

– شكراً لكما اني غير متعبة .

وانصرف رالف يصحبه كوري .

أما جورج فتخلف عنهما .

وهمس يخاطب ميلي :

– تعالي الى الشرفة برهة فإني اريد ان أتحدث اليك .

كانت الحديقة مظلمة وأوراق الخريف تغطي الأعشاب .

وتراءت الانوار المنبعثة من بيت آل بيري ، وهي تشق لنفسها طريقاً وسط الاشجار .

وقال لها جورج .

– انصتي إلي يا مس سيلز .

لقد فكرت طويلاً في موضوع القنديل الذي أسقطته الريح بالأمس من فوق المنضدة فانشرخ ، واكتشفت شيئاً عجيباً .

فسألته ميلي :

– ما الذي اكتشفته ياترى؟

– بالامس كان الطقس ساكناً ، ولم تكن هناك رياح على الاطلاق . ان هذا القنديل لم يقع بفعل الريح وإنما أسقطه شخص ما . ربما ايما وربما مستر هنسون نفسه .

فقالت ميلي :

– من المؤكد ان ايما ليست هي التي أوقعته ، فلو أنها فعلت لاقرت بذلك دون مواربة ، كما انني أنا أيضاً لم أسقطه .

– إسمعي . لقد تجولت في حديقتكم اليوم بعد بزوغ الفجر ، كما تجولت الآن قبيل حضوري تواً باحثاً عن آثار أقدام أو بصمات أصابع سواء في الحديقة أو على الجدار .

اني لم أكن موقناً من ان ما رأيته في الليلة الماضية كان كلباً فقد كان أضخم من ان يكون كلباً .

وعلى أية حال ، سواء كان الزائر الليلي كلباً او لصاً ، انه ينبغي أن نبلغ الشرطي .

واتكأت ميلي على حافة الشرفة ، وحدقت في الجدار ، عند نافذة هاتي .

كانت أغصان اللبلاب فعلاً مهشمة .

واستدارت اليه ، والقت بيدها على كتفه ، وكانت أنفاسها العطرية تمس وجهه فسألته :

– جورج اين كنت ليلة الامس في العاشرة والنصف ؟

– في الفراش طبعاً ، ولكن لم السؤال ؟

- لاني اتصلت بك ولكنك لم ترد على التليفون

فأجاب :

- لقد سمعت فعلاً رنين الجرس ، ولكنني لم أحفل بالرد ، لاني كنت متدثراً بالاغطية اتقاء للبرد .

فضلاً عن ان أسناني كانت تؤلمني

وسألته

- انك لم تحدثني عن آثار الاقدام والبصمات ، ترى هل اهتديت الى شيء ؟

- نعم . لقد اكتشفت آثار أحذية ، أحذية رجال .. وكان ذلك الآن !

- وعند الفجر ؟ ألم تكتشف شيئا ؟

وقالت :

- جورج . ارجوك لا تكتم دوني شيئا .

ولبث برهة صامتا يحدق في عينيها دون ان يجيب .

وسألته :

- انك شاهدت شيئا ، فما هو ذلك الذي رأيته ؟

وأجاب

- شيء ما وقف في حوض الازهار تحت نافذة هاتي ، لان الزهور كانت محطمة . ولا ادري ان كان وقوفه قبل ان يتسلق الجدار على شجرة اللبلاب او بعد هبوطه .

والشيء الذي تسلل الى غرفة مسز منسون ، أدركه الخوف ففر هاربا ولذلك أوقع القنديل في عجلته .

وقد انطبعت آثار أقدامه على أرضية الشرفة ، ثم قفز يتخطى السياج وهشم أغصان اللبلاب .

وسألته ميلي :

– وما الذي تستنتجه من هذه الآثار ؟

– انها آثار عجيبة . فلا هي آثار حيوان ، ولا هي آثار انسان . فهي أولاً كبيرة الحجم . ثم انها ليست آثار أقدام ولا آثار مخالب . انها آثار أيد . أربع أياد .

وقالت ميلي في دهشة :

– أيد ؟ هذا عجيب ؟

– نعم . أربع أيد . كأن « الشيء » يزحف على أربع .

وسألته :

– ولكن ، ما شكل هذه الايدي ؟. أهي شبيهة بسمكة نجمة البحر ؟.

ونظر اليها جورج باستغراب وقال :

– وكيف علمت بهذا ؟

فلم ترد على سؤاله ، وإنما قالت :

– ولكن هاتي ذكرت انها رأت يداً واحدة ، لا أربع أياد كما تقول أنت .

– إن تفسير هذه الظاهرة ليس بالأمر العسير . انها رأت يداً واحدة تزحف على الجدار ، فلعل هذه اليد كانت تبحث عن شيء لتتعلق به . شيء تمسكه ، في حين كانت باقي الأيدي مستقرة بمواضعها . فلما صرخت هاتي فرت الأيدي هاربة وهبطت إلى الحديقة فانطبعت عليها آثارها ، ثم اختفت ..

ولا تسليني كيف اختفت ؟ وإلى أين ذهبت ؟ فلا جواب لدي على هذا السؤال . إذ ما يدريني ان في قدرتها أن تسبح ، أو تطير في الهواء ؟

ثم أردف يسألها .

— هل أنت خائفة ؟

— ولم أخاف ؟ كلا ، إني غير خائفة .

— على أية حال ، أغلقي بابك ونافذتك على سبيـــل الحيطة ، أغلب ظني أن بعضهم يبغي الدعابة والمزاح ، وإن كان قد أسرف وتجاوز الحد المعقول . إني ذاهب الى فيردي لأقص عليه كل شيء ، ولعله بدوره رأى هذه الأيدي .

وقبلها جورج ، وانصرف إلى شأنه .

وفيما هو يعبر السياج الذي يفصل بين البيتين ، جمد في مكانه متسمراً . فقد ذكر عبارة رددها أحدهم :

« إنني في حاجة إلى زوجين من الأيدي » .

نعم ، من الذي قال هذه الكلمات ؟ لعلها هاتي ؟ بل لا . إنها ايمـا ، قالت انها متعبة ، وان العمل مرهق ، وأصبحت عجوزاً ، وهي في حاجة الى زوجين من الأيدي لمساعدتها .

إن هذه الكلمات عن الأيدي تثير في أعماقه ذكريات أخرى غامضة ، لا زال الظلام يكتنفها ولم تتحدد معالمها بعد .

ذكريات غائصة في أعماقه ..

* * *

وعادت مس سيلز الى منزل المريضة . وجاءت ايما بالعشـــاء للثلاثة ، ولكن المريضة كانت متمردة ترفض الاكل .

وأخذت ميلي ترجو وتتوسل ، وهي تأبى إلا العنـاد والاصرار على

الرفض وحتى عصير الفراولة أبت ان تتناوله وأطبقت فمها كالطفل العنيد وحين رأوا عنادها أرقدوهـا في الفراش ، ولكنها حتى في هـذا تمردت محاولة المقاومة .

كانت في عينيها نظرة التمرد نفس النظرة التي لمستها ميلي في عينيها الليلة الماضية حين أبت ان تتناول اللبن .

وطلبت ميلي من ايما ان تنصرف الى شأنها وجلست هي تأكل وهي تأمل ان تقبل المريضة على طعامها . بيد انها كانت تتابع ميلي بعينين باردتين خاليتين من التعبير .

ها هي ايما قـد انصرفت لمنزل اختها لتحضر وضع ابنتها ، ولم يبق بالدار أحد سوى ميلي وهاتي .

هل ينتظر ان يحدث شيء الليلة ؟ هل حانت ساعة مصرعي ؟ إن الاحداث لا تقع إلا حين تكون ايما غائبة عن المنزل .

يا إلهي . اني أحس أوجاعا شديدة تسري في بدني . ألا يكفيني الشلل الذي يقيد حركتي ولساني حتى تفترسني الاوجاع ايضاً ؟

لو اني لم أصعد الى الدور المسحور لبقيت سليمة فلم ينزل بي الداء . لولا صعودي لكنت الآن على قيد الحياة ، لا جثة هامدة . أرقص واجري وأضحك لا تشغل بالي غير الحياة متدفقة صاخبة . صعودي الى الدور المسحور هو الذى أنزل بي هذه الكارثة

أعرف ان ابني روبي قد مـات . شنق نفسه في عارضـة السقف في الدور المسحور .

وبغتة استولت علي رغبة ملحة جارفة في ان أرى مرة أخرى المكان الذي شنق فيه نفسه . راودتني هذه الرغبة أماً متصلة وانا أتملص منها ولا القي اليها بالاً .

وذات يوم كنت وحدي بالمنزل ، رالف وبروس في عملها في البنـك ،

وايما في السوق تشتري ما يحتاجه المنزل وهاتي في المطبخ تطهي الطعام وانا في غرفتي تفترسني الرغبة في مشاهدة غرفة الموت .

وفجأة سمعت الباب الخارجي يفتح ، ثم سمعت وقع خطوات تصعد الدرج المفضي الى الدور المسحور . ترى من يكون هذا القادم ؟ ليست ايما بالطبع، فالوقت لم يتسع بعد لعودتها .

وتناهى الى سمعي صرير باب الدور المسحور وهو يفتح فلم أتردد . اللص فقد استقر في ذهني انه لص دون شك .

كان باب الدور المسحور مفتوحاً . وبلغت البسطة الاخيرة ونظرت الى الداخل فلم اصدق عيني .

على الارض كانت الحقيبة الكبيرة التي كنا نحتفظ فيها بلعب روبي حين كان طفلا . وإنما كانت تضم اكداسا مكدسة من اوراق البنكنوت . الربع مليون دولار التي زعموا ان روبي اختلسها من البنك .

التهمة الكاذبة ، التي الصقوها بروبي ، فجعلوه ينتحر ، فراراً من العار .

فلم أتردد عندئذ وانما تخطيت عتبة الباب ودخلت .

انتصب واقفا ونظر إلي .

وفي هدوء قلت له :

— لص !

وابتسم في غير اكتراث

وقال :

- من سوء حظك انك اكتشفت أمري لقد اصدرت على نفسك حكما بالإعدام .

كانت الذكريات تتوالى على رأس مسز منسون متدفقة جارفة وهي طريحة الفراش مشلولة لا تقوى على الحركة او الكلام .

لسانها صامت ، وجسدها هامد ، ومخها هو الشيء الوحيد الذي كان صاحياً .

قالت له ، وهما واقفان في الدور المسحور ، يتبادلان نظرات هادئة :

— لقد غبنتك قدرك طول عمري . لا ، لم أكن أحسبك قادراً على التدبير وحبك المكائد .

فقال باسماً :

— الناس جميعاً يعتقدون إني رجل فارغ العقل :

— ولكن لم أقدمت على ما فعلت ؟

— حب المال .. أثمة من يكره أن يكون غنياً ؟ ثم إني أكره النساء اللائي يرثن أزواجهن . إني أكد ليلاً ونهاراً ، ومع ذلك لا زلت فقيراً ، لا أملك إلا القليل ، أما أنت فيموت زوجك كوري وترثين ثروة هائلة دون أي جهد إني أكره ذلك

— هل كنت وحدك في هذا التدبير أم أن لك شريكاً ؟

— إني أكره الشركاء . وما حاجتي إلى شريك ما دمت أستطيع أن أعمل وحدي ؟

ومد يده ، يصلح من تنسيق رزم البنكنوت ، قبل أن يغلق الحقيبة .

ولمست بيده أربع أياد ، صفراء اللون ، كان روبي يلهو بها ، في صباه .

وقالت :

— لقد صنع هذه الأيدي ليلهو بها في عيد « جميع القديسين » . كان يدخلها من النافذة وهو واقف في الحديقة ليخيف بها ابا . وقد صنعها بنفسه من الخشب ودهنها باللون الأصفر .

وسألته :

– ولكن .. لم الصقت التهمة بروبي ، بالذات ، ولم تختر أحداً سواه ؟

– لأنه اكتشف الحقيقة ، وعرف انني المختلس ، فبادرت أحبك الأدلة حوله وتكلمت قبل ان يتكلم .

– إذن فهذا هو السبب في ان روبي كان مهموماً شارد الذهن وهو يتناول الغداء معي في يوم مصرعه

– أعتقد ان هذا هو السبب .

وسألته

– لكنه لم ينتحر ؟ أنت الذي قتلته ؟

– كان لا بد من ذلك ، حتى لا أمنحه فرصة يدافع فيها عن نفسه ويفند أدلتي .

– إذن فأنت الذي وضعت في الآلة الكاتبة رقعة من الورق يعترف فيها بالسرقة وانه سينتحر فراراً من العار .

– تماماً ، أنا الذي كتبت هذا الاعتراف على الآلة الكاتبة .

وساد الصمت بينهما برهة .

وقطعته مسز منسون بأن قالت :

– أتدري ما سوف أفعل الآن ؟

فتطلع اليها مستفسراً .

فاستطردت تقول :

– سأبلغ الشرطة ، سأقول لهم انك لص وقاتل .

وضحك ساخراً ، وكانت ضحكة رهيبة . كانت حكماً بالإعدام

ولم تشعر مسز منسون بعدها إلا بقطعة من الحديد تستقر فوق رأسها ، فتهاوت على الأرض موشكة أن تفقد الوعي

ثم شعرت به يرفعها بقوة ، فتدحرجت على درجات السلم حتى استقرت عند قاعدته

ثم غابت عن الوعي .

وأخيراً أفاقت . أفاقت على أصوات وأشخاص حولها . أصوات مختلطة وأشخاص مهزوزة . كانوا وقوفاً عند رأسها ، وهي طريحة على الأرض عند قاعدة سلم الدور المسحور .

إذن فهي لا تزال على قيد الحياة .

لقد أغمي علي فقط ، وكنت أحسب انه قتلني ، كما قتل ابني روبي من قبل .

جاءها صوت تعرفه . انه صوت [illegible]

— من حسن الحظ اني عدت من السوق في الوقت المناسب .

وقال صوت آخر :

— لقد حسبتها ميتة .

وقال ثالث :

— أعتقد انها مصابة بصدمة عصبية وشلل .

وتناهى إلى أذنيها صوت رابع يقول :

— لقد اتصلت بي تليفونياً ، وسألتني ان أبادر اليهـا بأسرع ما يمكن . وحين حضرت طلبت مني ان أنتظر ريثما تصعد إلى الدور المسحور ، فلما أبطأت خامرني القلق عليها ، فلحقتها .

يا إلهي ! من الذي يقول هذا ؟ من الذي يتكلم ؟

وعاد نفس الصوت يتكلم من جديد .

قال :

— كان باب الدور المسحور مفتوحاً ، وخطر لي انها تنوي ان تنتحر بنفس الطريقة التي انتحر بها ابنها ، فأسرعت صاعداً أقفز الدرجات ،

فوجدتها وشيكة بأن تشنق نفسها ، فبادرت أحاول إنقاذها ، فتلاحمنا وتصارعنا ، وسقطت على الأرض وتدحرجت على السلم إلى قاعدته قبل أن أستطيع ان أخف اليها وفي تلك اللحظة ، سمعت صوت ايما قادمة من السوق ، ثم استدعيتكم جميعاً .

وارتفع صوت ايما متوجعاً ينشج :

– عندما عدت من السوق رأيتها وأنا في طريقي إلى المطبخ طريحة على الأرض ، عند قاعدة السلم . عندما رأيتها كدت أجن يا مستر رالف ويا مستر بروس .

وقال الدكتور بابوك .

– مس بيرد ، عليك بمراقبتها مراقبة دقيقة أثناء الساعات الخمس التالية ، وإذا حدث أي تغيير فاخطريني على الفور .

– سنراقبها جميعاً ، إنها العناية الإلهية التي أنقذتها

فقال الطبيب :

– إنها لم تنج حتى الآن ، إن حياتها معلقة بخيط واه .. من ساعة لأخرى .

– ومتى تتكلم يا دكتور ؟

وكان الجواب :

– شلل أخرس لسانها وحال دون حركتها ، لن تتكلم ، ولن تتحرك . ومع ذلك سأدعو إخصائياً لفحصها . والآن أرجو ان تتعاونوا لنقلها إلى مخدعها .

وخفتت الأصوات ، وأحست بهم يرفعونها عن الأرض ، ويمضون بها إلى غرفتها .

إذن فتلك القصة التي حبكوها . أرادت ان تشنق نفسها ، فحاولوا منعها ، فتدحرجت على السلم يا لها من قصة .

وشعرت بالضحكة الساخرة تنحشر في حلقها ، إذن فلينتظروا القصة الحقيقية . إنها سوف تتكلم وتروي الحقيقة لن تتكلم الان ، ولكنها في يوم ستتكلم ، ولو بعـد حين . وعندئذ ، سيعرفون ان هناك من حاول قتلها .

دارت هذه الخواطر بذهنها ، تستعيد ذكريات الماضي القريب .

وكان الضوء ينبعث خافتاً من قنديل ايما المحلى بالزهور ، فيسقط الضوء الواهي على إناء اللبن وعلبة الحبوب المنومة ، وكانت مس سيلز جالسة في مقعدها عند النافذة وهي في زي الممرضات الناصع البياض .

ترى هل حانت ساعتها ؟ هل في هـذه الليلة ستقتل ؟ إنهم يخشون ان تتحسن فجأة ، وان تعود قادرة على الكلام ، ولهذا يجب أن تقتل . لكن متى ؟ الليلة ربما .

كان الباب المفضي إلى البهو مغلقاً ، وكان باب الشرفة أيضـاً مغلقاً ، وهذا أفضل ، فحين يفتح القاتل المنتظر الباب ربما سمعت مس سيلز صريره فتصحو من نومها .

وفجأة فتح باب البهو

وتأملت مسز مذسون الشبح الذي انبثق من أحشاء الظلام . كان متشحاً برداء أبيض منسدل عليه من رأسه إلى قدميه . وحتى وجهه كان مستوراً وراء قناع لا يظهر منه إلا عيناه .

وغشيها الخوف ، وهتفت في طوايا قلبها .

– مس سيلز . مس سيلز . إستيقظي أتوسل اليك إن الموت في الطريق إلي . الموت يوشك ان ينقض .

وبرزت من ثنايا الرداء الأبيض ذراعان امتدتا اليها .

كانت مشلولة ، عاجزة عن الحركة فلا فرار ، وعاجزة عن النطق فلا تحذير ولا إنذار .

ولكن مس سيلز إستجابت للنداء الخفي الذي لم يتجاوز طيات القلوب . إستيقظت .

قالت :

ـ ما هذا ؟ بالله عليكم لم هذا التنكر ؟ أهي دعابة ؟

وغمغم الشبح الأبيض من وراء القناع ، بكلمات خافتة مدغمة ، غير واضحة المعالم .

وقالت مس سيلز :

ـ أحسنت صنعاً . وإن كنت قد أخفتني في البداية وأشعت الرعب في قلبي .

فمشت ميلي الى الفراش ، وأخذت بيد مسز منسون ، تربت عليها وهي تقول :

ـ ولا شك انه أفزعك انت أيضـــاً يا طفلتي العزيزة . لكن لا تخافي يا حبيبتي . إنه بريتمان المدلك

رباه ! أهذا هو بريتمان ؟ اذن فهو ليس « الموت » برداء أبيض .

واستطردت مس سيلز :

ـ انه مصاب بزكام شديد فارتدي القناع والثوب الأبيض المعقم حتى لا ينقل اليك العدوى وحسناً فعل .

وفرغ بريتمان من عمله وانصرف ، وشيعته ميلي حتى الباب الخارجي وأضحى البيت خال ليس فيه أحد سواها . فقد كان البهو معتماً وجميع الغرف مطفأة الأنوار يسودها الظلام .

وحين عادت الى المخدع الفت المريضة سارحة الذهن غارقة في خواطرها ، وكانت عيناها تنظران إلى بعيد .

واتكأت ميلي على حافة النافذة ونظرت الى الخارج . كان منزل آل بيري مطفأ الأنوار أيضاً ، وأغلب الظن انهم ذهبوا الى السينما أمـــا جورج فمن

المحتمل انه الآن مع فريدي ضابط الشرطة في المنطقة يروي له جميع الأحداث فهما صديقان منذ الطفولة وقد تخرجا من الجامعة في وقت واحد . لكن لم يفض جورج بشكوكه الى مستر مدسون ومستر بروس ؟ لكن ما يدريها انه حدثهما بالأمر فصحباه الى مركز البوليس .

واستدارت عن النافذة الى المدفأة تصطلي الدفء .

وفي الحادية عشرة عادت ايما من الخارج :

– أرجو ان تكون قد أمضيت وقتاً طيباً ؟

– إن الجو سيء ، فالريح تهب ، والرطوبة عالية ، واعتقد ان الضباب سوف يسود البلدة . انني أكره مثل هذا الجو . اني أراك سعيدة مبتهجة .

فقالت ميلي :

– ولم لا وأنا لائذة بهذا الدفء هاربة من الجو الذي تصفين .

وقالت ايما :

– أما أنا فسألوذ بفراشي من فوري ، ولكن أتريدين قدحاً من اللبن لمسز مدسون ؟

ونظرت المرأتان اليها ، كانت مطبقة عينيها ، غارقة في النوم في هدوء وسكينة .

فردت ميلي :

– إذا ظلت على هذه الحال فإني أؤثر ان أدعها نائمة .

وقالت ايما :

– لا توصدي الباب بالمفتاح لانهم جميعاً في الخارج .

واستطردت ميلي :

– وبهذه المناسبة جاء بريتان وأنجز عمله وانصرف ، وكان واضعاً على وجهه قناعا لإصابته بزكام شديد فخشي ان ينقل العدوى الى المريضة . لكني لا أكتمك

ان الخوف غشيني عند دخوله .

– وهل جاء جورج ؟

– كلا ، لا جورج ولا سواه .

ودست ايما يدها في جيب معطفها قائلة

– يا إلهي . لقد كدت أنسى ، لقد بعثت اليك أمك برسالة أرسلتها الى بيت أختي فجئت بها اليك .

ودفعت بالرسالة الى ميلي وهي تقول :

– اني ذاهبة لانام فإذا احتجت شيئا فدقي الجرس

ومضت الى مخدعها ، وحين نظرت ميلي الى مسز ملسون وجدت عينيها مفتوحتين وهي تنظر اليها .

وضحكت ميلي قائلة :

– اذن انك فضولية تريدين ان تعرفي ما في خطاب أمي ، حسنا، سأجلس على حافة الفراش وأقرؤه عليك

وأمسكت بالمظروف تتأمله ، وتنظر الى الخط الذ كتب به العنوان .

– كلا يا طفلتي العزيزة الفضولية، إنه ليس من أمي ، كما ان في داخله شيئا صلبا ، لعله جنيه مثلا .

وفضت ميلي المظروف وأخرجت الشيء الصلب فإذا به مفتاح صغير ، فوضعته على المنضدة وراحت تتلو الخطاب .

كانت الرسالة مكتوبة بالقلم الرصاص ، وكان في رأسها سطر مكتوب بخط كبير يقول :

« لا تقرأي هذه الرسالة الا اذا كنت وحدك » .

ونظرت الى مسز منسون باسمة وقالت :

– انها رسالة سرية يراد مني ألا أقرؤها إلا اذا كنت وحدي .

وأخذت تقرأ الخطاب وبدأت تقطب جبينها ورويداً رويداً يبدو عليها

الاهتمام حتى لقد نسيت مسز منسون .

كانت وحدها مع الرقعة المكرمشة لا تحس بأحد حولها :

« إنني لن أذيل هذه الرسالة باسمي ، ولكنك ستستنتجين من تلقاء نفسك من أكون . هناك شيء غير سليم يجري في هذا البيت ، وهو شيء لا أستطيع أن أبلغ عنه البوليس ، لأني لا أملك دليلا ، وكل ما لدي مجرد اقتناع مبني على الإلهام لقد وقعت في هذا البيت أحداث عديدة عجيبة تثير الشكوك ، ولو اني ذهبت أخطر الشرطة بما حدث فلا بد ان يدفعوا اسمي عندهم وهبهم تحروا وبحثوا ، فلم يهتـــدوا إلى شيء ، فسوف يذاع اسمي وتلوكه الألسن ، وعندئذ تكون نهايتي ، بل إني أشعر الآن ان هناك من يراقب مسكني خفية أثناء الليل .

« لقد حدث مرة ان سمعت عن سيدة كانت تخشى على حياتها وتعتقد ان هناك من يتربص بها كي يقتلها . وقد أساء القوم الظنون بها وحتى رجال الشرطة أنفسهم اعتقدوا انها امرأة تفترسها الأوهام وأخيراً عندما قتلت عرف الناس والشرطة انهم مخطئون وإنها كانت على حق .

« ولا أرغب ان أورطك في المشاكل أو أعرضك للأخطار . لكن ليس لدي من أفضي اليه بشكوكي سواك .

« إن المفتاح الذي تجدينه داخل هذا المظروف هو مفتاح الدور المسحور ، وقد صنع تقليداً للمفتاح الأصلي . وليس لك ان تسأليني كيف انتهى الى يدي والآن اليك السبب الذي دفعني لأن أبعث اليك بهذا المفتاح: في كل مرة يكون فيها البيت خالياً من الناس وليس فيه إلا المريضة وممرضتها وربما الطاهية ، في هذه الحالة فان بعضهم يتجول في الدور المسحور ، إني أسمعهم لأن سمعي حاد حق وإن مشوا بهدوء . وهذا يحدث أحياناً في النهار واحياناً في الليل . وقد سمعت المريضة أيضاً وقع هذه الخطوات وهي عاجزة عن النطق غير ان عينيها تكشفان عما في نفسها »

وقلبت ميلي الصفحة وهي تردد في نفسها :

– إن ما قرأت ليس إلا سخافة لا معنى لها وان ما سطرته اليد المجهولة لا يمكن ان يكون حقيقياً .

ونشرت الصفحة التالية وانشأت تواصل قراءة الخطاب :

« إني أنا نفسي لا أستطيع استعمال المفتاح وأدخل الدور المسحور ، لأن المفتاح وصل ليدي بعد ان أفلتت الفرصة لكن إذا كان لديك من تثقين فيه فاعهدي اليه بالمفتاح وليكن شديد الحذر ، وبكتم الأمر ويراقب الجميع ، وان لا يثق بانسان لكن عليه ان يدخل الدور المسحور :

« لعلنا نلتقي في يوم من الأيام إنك لا تهتمين بي فقد كان الأمر واضحاً، ولا ألومك على أية حال ولكنني سأظل صديقتك الى الأبد . »

طوت ميلي الخطاب وأودعته جيبها قائلة :

– مسز منسون ، هل تسمحين لي بأن .

لكنها حين التفتت اليها بترت كلماتها ، فقد كانت مسز منسون شاردة الذهن لا تصغي اليها

كانت ذراعاها مكشوفتين لا تغطيهما البطانية ، وكانت إحدى اليدين ممتدة نحو الفضاء والأصابع تنفرد وتنطبق كأنما تقبض على الهواء ثم تطلقه وفي بطء أخذت اليد ترحف على الفراش ، حتى انتهت إلى المنضدة المجـــاورة للسرير ثم تراخت ، واصطدمت ، فطار الغطاء ، ووقع على السجادة ، كما انقلبت العلبة .

وهتفت ميلي في صوت هامس :

– مسز منسون .

وغطت يدها المفتاح الذي وضعته ميلي فوق المنضدة عندما فضت المظروف والتوى فمها وتصلب ثم استرخى . كانت تريد ان تقول شيئاً ثم الفت نفسـها عاجزة وتلاقت عيناها بعيني ميلي وكانت عيناها ناطقتين كانتا تقولان انها

لا تستطيع النطق وإنها عاجزة عن الكلام .

وقالت ميلي :

ـ أرجوك يا مسز منسون . لا تحاولي ان ورهقي نفسك، لكن هل تعرفين الشخص الذي أرسل إلي المفتاح؟ أتكون الممرضة التي سبقتني هي التي أرسلته؟ أهي التي أرسلته ؟

نعم . إنها هي التي أرسلته . أهذا ما أكدته الكلمات المنبعثة من العينين.

ـ لكن أتعرفين ما الذي تهدف اليه ؟ إنها تقول انه مفتاح الدور المسحور لكن ما السبب في إرساله إلي ، إنها تريد ان أعطيه لشخص أثق فيه ، لكي يدخل الدور المسحور وهي تقول انك ..

ولم يكن ثمة حاجة لمزيد من الحديث .

كانت عينا مسز منسون تؤكدان كل كلمة . كانتا تبرقان تدعيماً وتأكيداً.

وقالت ميلي :

ـ هل أذهب الآن الى الدور المسحور ؟ هل أذهب الآن ؟ ليس بالمنزل أحد غيرنا .

وحاولت مسز منسون أن ترد بالإيجاب . حاولت ان تقول نعم غير ان الخوف والإشفاق كانا يتصارعان مع الامل كانت مشاعر الخوف والإشفاق جلية واضحة في العينين كأنها كلمات صارخة .

وهمست ميلي :

ـ ليس بالمنزل أحد . الوقت الآن أما إن من الافضل ان أذهب بنفسي ، إذا نحن انتظرنا حتى أستدعي جورج فما يدريني ما سيحدث أثناء الانتظار؟ لكن ترى ما الذي سأجده أو أراه بالدور المسحور ؟

واتجهت عينا المريضة الى يدها الموضوعة فوق المفتاح الذي تغطيه بودرة التالك .

وقالت ميلي بنفس الصوت الهامس :

– مسز منسون ، أيمكنك ان تحركي إصبعاً واحدة ؟. أيمكنك أن تخطي بعض الكلمات باصبعك المغموس في البودرة يمكنك ان تكتني حتى ولو كلمة واحدة ؟

بدأت الإصبع تتوتر ، ثم بدأت تتحرك في بطء .. شديد كلمة واحدة أتوسل اليك كلمة واحدة وتحركت الإصبع وبدأت الكلمة تكبر وتنمو .

أخيراً خطت كلمة ، كلمة واحدة : « حقيبة » .

وأخذت ميلي المفتاح ، تناولت مشعلاً من درج المنضدة ، ثم غـــادرت الغرفة ، ونظرت الى بابها ، فليس فيه مفتاح ولكنني أعدك بأن أسرع ولا أغيب إلا قليلاً .

ورجعت ثانية الى المخدع ، ومحت الكلمة المخطوطة بالبودرة ثم نظرت الى المريضة وقالت لها باسمة :

– سأعيد يدك الى موضعها تحت الغطاء ، وها هي ساعتي سأضعها على المنضدة امامك حتى تعرفي اني لن اغيب الا قليلاً .

ثم غادرت الغرفة دون ان تنظر خلفها .

كان المنزل ساكناً هادئاً ، وصعدت الدرج بخطوات خفيفة ودست المفتاح في ثقب القفل واستعصى المفتاح قليلاً ثم انفتح الباب أخيراً دون ان يصدر منه اي صرير واغلقت الباب خلفها وعلى ضوء البطارية صعدت السلالم الداخلية المؤدية الى الدور المسحور .

الحقيبة . الحقيبة . أية حقيبة يا ترى تلك التي تقصدها المريضة ؟ ان الغرفة مليئة بكثير من الحقائب فأنى لي ان أعرف أيها تقصد ؟ وما الذي يمكن ان اجده فيها ؟

وقفت ميلي في الغرفة وأخذت تدير مشعلها بارجائها .

كان هناك منضدة فوقها آلة كاتبة ، وكان هنـــاك اريكة جلدية احدى قوائمها مكسورة ، كما كان هناك علب كبيرة من الكرتون ولعب اطفـــال

ودراجات مختلفة الاحجام وبعضها مكسور . كا كان هناك ايضاً حقيبة كبيرة ملون غطاؤها بخطوط كبيرة متعرجة حمراء وصفراء وخضراء .

وللمرة الثانية زحفت اليد تحت الغطاء وفي مشقة وعناء وجدت طريقها الى الطاولة مرة اخرى يا إلهي لقد بدأت اشفى . اني الآن استطيع التحرك . هأنذا جالسة في الفراش على ركبتي نعم . اني جالسة على ركبتي . اسألك يا ربي ان تحفظ ميلي . اسألك ان تقيها من كل سوء وتوترت الاصـــابع وانكمشت . ثم تكورت وخطت كلمة على صفحة المنضدة بمداد من مسحوق البودرة .

وفي اثناء ذلك كانت ميلي قد فتحت الحقيبة الملونة بالخطوط المتعرجة انها مليئة باللعب المهشمة مسدسات وسهام وكور وعربات ومكعبات ورزم من الاوراق المالية المقلدة التي يلعب بها الاطفال . وايد صفراء كبيرة الحجم منفرجة الاصابع .

واخذت ميلي تتأمل الايدي مشدوهة ، ان اليد منها ذراعاً طويلة جداً. نفس الوصف الذي ذكرته هاتي نفس الوصف الذي اصرت عليه رغم ما رميت به من الهذيان والتخريف .

يا إلهي . ايد صفراء اللون وذراع خشبية طويلة .

اليد التي زحفت على جدار هاتي . اليد الصفراء التى لمست وجهها .

وامتدت يد ميلي وتناولت رزمة من الاوراق المالية واخذت تفحصها . كلا انها ليست اوراقاً مقلدة مما يلعب بها الاطفـــال في المسابقات .. انها بنكنوت حقيقي .. اكداس من اوراق البنكنـــوت ، فمن الذي وضعه هنا ؟

واطفأت ميلي مشعلها ، وهبطت الدرج في الظلام وحين بلغت البهو تناهى الى اذنيها صرير الباب الخارجي وهو يفتح ثم يغلق في حرص ورفق واسرعت صاعدة الى غرفة مسز منسون .

وجعلت مسز منسون ترقبها وهي تدخل عليها وتوصد باب الغرفة وراءها وتضع مقعداً وراء الباب بحيث ينحشر حافته تحت المقبض .

وذهبت ميلي إلى الفراش ..

ثم قالت تخاطب مريضتها :

– لا تخافي . كوني مطمئنـة . لقد وضعت المقعد على سبيل الحـذر والحيطـة .

وتطلعت اليها مسز منسون ، وكانت عيناها تتساءلان

فأجابت ميلي :

– نعم ، لقد شاهدت كل شيء . شاهدت ما كنت تريدين ان أرى . لكن لا تخافي كل شيء سيكون على ما يرام .

واتجهت ميلي إلى الباب الخارجي المفضي إلى الشرفة . هذا البـاب هو الذي سيعنيها أمره . هذا الباب هو الذي يخيفها . إن مزلاجه صغـير جداً ، يمكن أن يقتصب بسهولة بشيء من الضغط الخفيف على ضلفة الباب ، كما يمكن ان يزاح من موضعه باستعمال مسمار صغير

ونظرت ميلي إلى بيت جورج عبر الحديقة التي يسودها الظلام . كان البيت أيضاً غارقاً في الظلمة ، لا ينبعث منـه ولا شعاع واحد من الضوء . لا شـك ، انهم ذهبوا جميعـاً إلى السيـنما . أو لعلهم غـارقون في النـوم .

ورمت ببصرها إلى الحديقة . كان كل شيء ساكنـاً ، ولم يكن فيها شبح يتحرك .

ولكن كيف هذا وقد فهمت من جورج انه سيسهر الليل يراقب البيت وفريدي ضابط الشرطة لا بد ان يكون ساهراً ايضاً ..

ومع ذلك ، فهي لا ترى أحداً في الحديقة – ظلام سائد وسكون شامل .

ورجعت إلى الفراش ، وتكلمت تقول :

– إسمعي يا مسز ملسون . إن لدي فكرة . انك طبعاً لا تخافين الظلام . سأطفىء القنديل وأشعله عدة مرات ، لقد اتفقت مع جورج على ان تكون هذه الإشارة بيننا بمثابة إستنجاد ، وسيفهم إشارتي ويحضر في الحال .

كانت كاذبة في هذا الذي ذكرته ، فما اتفقت مع جورج على شيء من هذا القبيل .

كل ما هنالك ، إنها أرادت ان تبعث في قلب مريضتها ، الثقة والاطمئنان .

وحين مدت يدها لتناول القنديل رأت الكلمة الجديدة التي خطتها أصابع مسز ملسون بالبودرة على صفحة المنضدة :

« قاتل ! »

وهمست :

– إنني أعرف ذلك يا مسز ملسون ، ولكن هل تستطيعين أن تكتبي الاسم ؟

لكن المريضة ظلت مكانها جامدة لا تتحرك .

ترى هل جورج في بيته . هل رأى الإشارة ؟

هل شاهد القنديل يطفأ ويضاء ؟. وهل فهم ما تعنيه هذه الإشارة ؟.

وكان جورج فعلاً قد رأى هذه الإشارة .

لقد قرر ان يسهر وان يراقب . كان في النافذة يدخن سيجارته حين رأى النور ينطفىء ويضاء عدة مرات . لا بد ان ميلي في خطر .

ووثب يهبط الدرج وخرج إلى الحديقة مسرعاً .

وكان صديقه فريدي ضابط الشرطة رابضاً في أحد الأركان .

وقال جورج :

– أشاهدت شيئاً ؟

– كلا . على الاطلاق . ولكن ما الذي جعلك تترك مكانك في النافذة .

– اني ذاهب اليها فقد رأيت القنديل يضاء ويطفأ فكن يقظاً .

– إني على استعداد فاذهب اليها وسأكون على كثب منك .

وفي الظلمة التي تسود الغرفة مدت ميلي يدها فأخذت بيد المريضة وهي تقول في صوت مترفق :

– لن تمضي دقائق حتى يكون جورج هنا .

لا شك انه استجاب إلى الإشارة ، ومع ذلك سأحملك إلى مقعدك عند النافذة .

نعم سأبعدك عن الفراش حتى يصعب العثور عليك .

وحملت الفتاة مسز منسون وإن أرهقها حملها وأجلستها .

وذهبت بها إلى المقعد المجاور للنافذة ، الآن الفراش خال منها ، ولكن القاتل لن يعرف ذلك ، فالظلمة شديدة ، ولذلك سيتجه إلى الفراش في طلبها .

والصقت ميلي فمها بأذن مسز منسون وهمست :

– سأقص عليك حكاية لطيفة فأرجو ان تعيريني سمعك

وأخذت تروي لها شيئاً مسلياً حتى تصرفها عن التفكير في الأخطار التي تحوم في الأفق .

وفجأة بارت كلماتها ومات الحديث على شفتيها .

لقد رأت شبحاً وراء الشرفة الزجاجي .

وسمعت صرير المقبض وهو يدور ، ولكن الباب لم ينفتح لأنها كانت قد وضعت المزلاج وراءه .

ولكن المزلاج صغير وضعيف ، إنه مزلاج يكفي مسمار لإزاحته من موضعه .

وسمعت تكة صغيرة ثم انفتح باب الشرفة .

ووقفت ميلي مولية ظهرها الى المقعد المجاور للنافذة . المقعد الذي تجلس عليه مسز منسون ، لقد جعلت من جسدها حاجزاً يرد الخطر عن مريضتها

ولمحت الشبح ، الذي دخل من باب الشرفة ، يسعى على أربع ، ويزحف على السجادة في اتجاه السرير . وغاب عن عينيها ، وابتلعه الظلام .

وفجأة تناهى إلى أذنيها من ناحية الفراش صوت ارتطام ، لقد انقض الشبح الخفي على السرير – كي يطعن ويقتل .. لكي يخنق ويقتل .. المهم انه انقض ليقتل .

وانبعثت الأنوار كلها دفعة واحدة ، أنوار السقف ، وأنوار البهو ، وأنوار الشرفة فيضان من الضوء ملأ الغرفة .

وتعالت أصوات صدام وارتطام . أصوات عراك وتلاحم وفوق . الضجة الصاخبة ارتفع صوت جورج ينادي :

– فريدي . فريدي !

ومن حيث لا يعلم احد انبثق فريدي في الغرفة .

في البداية بهرها الضوء الذي سطع فجأة .

أما الآن فبدأت ترى .

ها هي ذي ترى أمامها رجالاً لم تكن تتوقع ان تراهم لقد انشقت عنهم الأرض فبرزوا فجأة :

جورج ، وفريدى .

وليس هذا فقط ، بل أيضاً دكتور بابوك وكذلك دكتور بليديل .

مجموعة كبيرة من الرجال . كانوا ينهضون ويسقطون ، كتلة من اللحم تقوم وتقع كتلة تتلاحم وتنفصل . تقترب وتبتعد . تتباعد وتصطدم .

رجال صامتون لا يتكلمون . شبان وعجائز .. طوال وقصار . ضعاف وأقوياء – ولكن الهدف واحد !

الهدف هو ذلك الشبح الخفي الذي اقتحم الغرفة لكي يقتل !

كان في يد كوري مسدس .

ورمى جورج بجسده فوق ذراع كوري لكي يشل حركته .

وجمعت ميلي كل ما تبقى لديها من قوة وشجاعة وصرخت :

– لا يا جورج ! إحترس !

وانتهى الأمر أخيراً عندما تكاتفوا جميعاً ، وشلوا حركة الشبح الأسود ، وأزاحوا عن وجهه القناع .

كشفوا عن وجهه لكي يراه الجميع .

وتحولت ميلي الى مسز منسون ، وأخفت وجهها في صدر مسز منسون .

بل انها حاولت أيضاً أن تلقي بيدها على عيني مسز منسون ، حتى لا ترى الرجل الذي اقتحم الغرفة لكي يقتل .

وسمعت إلى جانبها صوتاً رقيقاً ناعماً يهتف باسمها :

– مس سيلز !

ورفعت رأسها ، ولم تصدق أذنيها . كانت تخشى أن تصدق ، ولكنها كانت هي الحقيقة :

مسز منسون هي التي تكلمت .

مسز منسون هي التي هتفت باسمها !

المشلولة نطقت ! وتكلمت ! وتحركت !

صدمة نفسية شلتها ، وصدمة أخرى قضت على الشلل .
الصدمة الأولى حين رأت ابنها روبي منتحراً ..
والصدمة الثانية حين رأت زوجها رالف منسون يحاول ان يقتلها طمعاً في مالها !
الرجل الذي كان يصرخ :
- أتوسل اليكم أنقذوها ، إنها كل ما تبقى لي من دنياي !
هذا الرجل هو الذي اقتحم الغرفة ليقتل . ليقتلها !

- تمت -